



الجامعة الإسلامية - غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني عشر من القرآن الكريم من سورة المائدة من الآية (27-81)

Analytical study the aims of the twelfth section of the Holy Gur'an

From Alma'eda surah from (27-81)

إعداد الطالبة

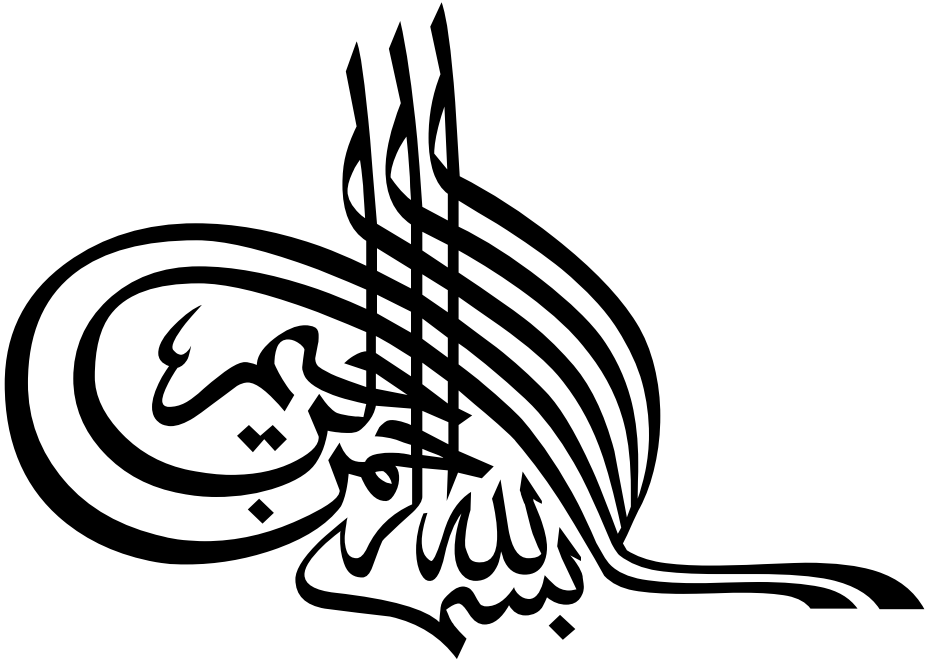
منال عبد الرحمن أبو سخيلة

إشراف

د. رياض محمود قاسم

رسالة ماجستير مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436 هـ - 2015 م



قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

الإهداء

يطيب لي أن أهدي بحثي هذا إلى كل من:

- إلى منارة العلم، والإمام المصطفى، سيد الخلق رسولنا محمد ﷺ .
- إلى رمز البذل والعطاء والدي الكريمين إلى روح أبي العزيز رحمه الله وأمي الحبيبة حفظها الله.
- إلى رفيق دربي زوجي الغالي حفظه الله.
- إلى قرة عيني أبنائي أحمد ومحمد وعبد الله ومهجة قلبي نور وعبد العزيز وعبد الرحمن وحمزة حفظهم الله.
- إلى من حبهم يجري في عروقي يلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم رعاهم الله.
- إلى زملاء العلم والعمل الذين سرنا معهم سوياً نحو خدمة الدين والوطن.
- إلى أساتذتي الكرام.
- إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع، وأسأل الله ﷻ القبول.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات أشكره سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها توفيقى لإتمام هذا العمل المتواضع، وامتنالاً وعملاً بقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [الأحقاف: ١٥] ، ومن قوله ﷻ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) ^(١)، واعترافاً بالجميل والامتنان، لأهل الفضل والعرفان من العلماء الأجلاء الذين أناروا دروب الحرية وبنوا جامعتنا الأبية وخرجوا الأجيال الفنية فإنه ليسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لفضيلة الدكتور "رياض محمود قاسم" الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما تكرم به من جهود وتوجيهات قيمة ونصائح وإرشادات مفيدة جعلت البحث يخرج بهذا الشكل فأدعو الله ﷻ أن يجزيه خير الجزاء.

وأقدم عظيم شكري لعضوي لجنة المناقشة الذين تكروا بقبول مناقشة رسالتي:

حفظه الله

الأستاذ الدكتور/ عصام العبد زهد

حفظه الله

الدكتور/ نمر محمد أبو عون

فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموا من نصائح طيبة من أجل الارتقاء بهذا البحث للأفضل، والشكر موصول للأستاذ الدكتور زكريا الزميلي الذي تكرم بترجمة ملخص رسالتي إلى اللغة الإنجليزية وللأستاذ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة رسالتي، وتنسيقها، فجزاهما الله كل خير.

كما أتقدم بخالص الشكر لسلفي الدكتور عبد الكريم زهد لما قدمه لي من نصح وجهد مبارك فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل مقبولاً وأن ينفع به.

(١) سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (١٩٥٤)، ٣٣٩/٤، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ٥٧٩/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحمد لله
نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله
فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله بعثه الله ﷺ بين يدي الساعة بشيراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فتح به
أعيناً عمياً، وأذناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأقام به الملة العوجاء بأن قالوا: لا إله إلا الله، صلوات الله
وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

لقد خص الله ﷺ أمة محمد ﷺ بالقرآن الكريم، هذا الكتاب الخالد الذي جعله لدعوته برهاناً
ومؤيداً، نوراً مبيناً، للأبصار مبهراً، وللألباب آخذاً، معجزة متجددة على مر العصور والأزمنة، فيه
نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه
الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط
المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي
عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن
دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

أكرم الله به خير خلقه، فأنزله عليه هدايةً للبشر، ومخرجاً لهم من الظلمات إلى النور،
ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وقد حث الله ﷺ عباده المؤمنين على تدبر القرآن، وفهم آياته ومعانيه، وتفسيره، وتعلم
علومه، والخوض في أعماقه.

يقول ﷺ في كتابه العزيز: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ولا شك

أن تفسير القرآن وعلومه من أعظم العلوم وأشرفها وأنبهها كيف لا وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأجل
الكلام ألا وهو كلام الله ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

فكل آية في كتاب الله ﷻ تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف، التي تمثل منهج حياة للمسلمين في جميع المناحي حيث تُشخّص المشاكل والهموم، وتقدم العلاج الشافي لها بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية.

لذلك كانت رسالتي بعنوان: "الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني عشر من القرآن الكريم" (سورة المائدة: ٢٧-٨٠).

والله أسأل أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ولا يجعل للشيطان فيه حظاً أو نصيباً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أولاً: أهمية الموضوع:

- ١- تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم.
- ٢- إظهار الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال ارتباط مقصد كل آية بالهدف العام للسورة.
- ٣- هذه دراسة معاصرة تعالج المشكلات، وتضع الحلول لها.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١- ابتغاء مرضاة الله ﷻ، واستجابة لأمره حيث قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

- ٢- خدمة كتاب الله ﷻ، والبحث عن مقاصد السور والآيات، وربطها بهدف القرآن الكريم.
- ٣- حاجة المجتمعات الإسلامية إلى دراسة تستنبط من القرآن الكريم حلولاً لمشكلات الأمة على أرض الواقع.

٤- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة خاصة بأهداف القرآن الكريم.

٥- تشجيع أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن، وخاصة مشرفي على هذه الدراسة.

ثالثاً: أهداف البحث:

- ١- إبراز المقاصد والأهداف لآيات الحزب الثاني عشر، وربطها بالواقع المعاصر.
- ٢- إظهار الموضوعات التي تعرض لها الحزب ومحوره الرئيس.

٣- مشاركة طلاب العلم بقسم التفسير وعلوم القرآن في إنجاز سلسلة تتناول التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف القرآن الكريم.

رابعاً: منهج الباحثة:

١- استخدمت المنهج التحليلي الموضوعي في تحليل المقاصد والأهداف، ووضعت مقدمة لسورة المائدة، أبين من خلالها أسماء السورة، وفضلها، ومكان نزولها، ومحورها الرئيس، ومناسبتها لما قبلها، وما بعدها.

٢- تقسيم آيات الحزب الثاني عشر من سورة المائدة إلى مباحث مختلفة، في أربعة فصول، جاعلةً لكل مبحث آياته المناسبة له، حسب موضوع آيات المبحث نفسه، وتحديد ما تحويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليله وفق المنهج التحليلي الموضوعي، بما فيه من علوم متعددة تخدم المنهج من: علوم القرآن، وعلوم اللغة، وإعجاز القرآن، والسنة المطهرة .. إلخ، كما سيتم ربط هذه المقاصد بواقع الأمة وحالها، مما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها.

٣- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة، تخفيفاً عن الحواشي.

٤- تخريج الأحاديث المستشهد بها، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، حسب ضوابط وأصول التخريج، ونقل أقوال العلماء في الحكم على الحديث إن وجد، عدا الصحيحين.

٥- بيان معاني المفردات الغريبة من المعاجم اللغوية.

٦- الترجمة للأعلام المغمورة الواردة في البحث.

٧- اكتفيت في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وأترك مواصفات المرجع لقائمة المصادر والمراجع.

٨- عمل الفهارس اللازمة لخدمة البحث وتسهيل الوصول إلى المعلومة بأقرب طريق وأسهله.

خامساً: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، والبحث عبر الشبكة العنكبوتية وسؤال المختصين، لم أعثر على أية رسالة علمية تناولت هذا الموضوع، كما أنّ هذا البحث يأتي ضمن السلسلة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة لكل آيات القرآن الكريم.

سادساً: خطة البحث:

- تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر وُضِعَت هذه الخطة التي تتكون من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يلي:
- المقدمة: وتشتمل على:
- أولاً: أسباب اختيار الموضوع.
- ثانياً: أهمية الموضوع.
- ثالثاً: أهداف البحث.
- رابعاً: منهجية الباحثة.
- خامساً: الدراسات السابقة.
- سادساً: خطة البحث.

التمهيد

تعريف عام بسورة المائدة

- ويشتمل على خمسة مطالب:
- المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسمائها.
- المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.
- المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.
- المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.
- المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول

من الحزب الثاني عشر الآية (٢٧-٤٠).

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٢٧-٣٢) من سورة المائدة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قصة ابني آدم.

المطلب الثاني: الحسد والبغي والإفساد في الأرض.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٣٣-٤٠) من سورة المائدة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حد الحرابة.

المطلب الثاني: أساس النجاة في الآخرة.

المطلب الثالث: حد السرقة.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني

من الحزب الثاني عشر الآيات (٤١-٥٠)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٤١-٤٥) من سورة المائدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طبائع وقبائح اليهود كما صورها القرآن.

المطلب الثاني: التوراة هدى ونور.

المطلب الثالث: بعض أحكام التوراة وموقف اليهود منها.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٤٦-٥٠) من سورة المائدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رسالة عيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: القرآن أفضل الكتب السماوية، والمهيمن عليها.

المطلب الثالث: السعادة تكمن في العمل بما أنزل الله ﷻ.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث

من الحزب الثاني عشر الآيات (٥١-٦٦)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٦) من سورة المائدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من موالاته اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: عقوبة الردة في الإسلام، وموالاته الكافرين كفر.

المطلب الثالث: صفات الذين يحبهم الله ﷻ ويحبونه.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٧-٦٦) من سورة المائدة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدين بين المستهزئين والكارهين له.

المطلب الثاني: سفاهة أهل الكتاب.

المطلب الثالث: صفات اليهود وجرائمهم.

المطلب الرابع: اتهام اليهود للمولى ﷺ بالبخل.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع

من الحزب الثاني عشر الآيات (٦٧-٨١)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٦٧-٧١) من سورة المائدة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عصمة الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب للإيمان برسالة محمد ﷺ.

المطلب الثالث: ثمرة الاستقامة على دين الله ﷻ.

المطلب الرابع: طبيعة بني إسرائيل وضلالاتهم.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٧٢-٧٥) من سورة المائدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إبطال مزاعم النصارى في تأليه عيسى ﷺ.

المطلب الثاني: عقيدة التثليث عند النصارى وبطلانها.

المطلب الثالث: بشرية عيسى عليه السلام.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٦-٨١) من سورة المائدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الألوهية الحقّة.

المطلب الثاني: التحذير من الغلو في الدين.

المطلب الثالث: لعن كفار بني إسرائيل لعصيانهم وعدوانهم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة:

وتشتمل على ما يلي:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف عام بسورة المائدة

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسمائها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الأول

عدد آيات السورة وأسمائها

عدد آياتها:

العدُّ الكوفي مائة وعشرون آية، وعند البصري مائة وثلاث وعشرون آية، وعند المدنيين، والمكي والشامي، مائة واثنان وعشرون آية.

وكلماتها: ألفان وثمان مائة وأربع، وحروفها: أحد عشر ألفاً وتسع مائة وثلاثة وثلاثون حرفاً^(١).

المختلف فيه ثلاث آيات:

١- قال تعالى: ﴿... أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة: ١] ، عدها البصري والمدنيان والمكي والشامي، وترك الكوفي عدّها.

٢- قال تعالى: ﴿... وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ...﴾ [المائدة: ١٥] ، عدها البصري والمدنيان والمكي والشامي وترك الكوفي عدّها.

٣- قال تعالى: ﴿... فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ...﴾ [المائدة: ٢٣] ، انفرد البصري بعدّها، وترك باقي علماء العد عدّها^(٢).

وسورة المائدة من السور المدنية^(٣)، وقال الإمام القرطبي: "مدنية بإجماع"^(٤)، لأنها نزلت بعد الهجرة.

أسماء السورة:

سورة المائدة لها عدة أسماء كغيرها من السور، خاصة أن هناك سوراً لها اسم واثنان وأكثر.

اسم السورة التوقيفي:

اسم السورة التوقيفي واحد (المائدة): لورود قصة المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ

(١) انظر: في رحاب التفسير، ١٠٥٩/٦.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١٧٨/١.

(٣) انظر: الاتقان في علوم القرآن، ٣٣/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٣٠/٦.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [المائدة: ١١٢]، فهي السورة الوحيدة التي ذكر فيها المائدة (١)، والحواريون هم خلاصاء عيسى ﷺ الذين صفت قلوبهم من الكفر والنفاق وبادروا إلى الإيمان بعيسى وتلقوا عنه التعاليم ثم انتشروا في القرى لبثها بين الناس.

الأسماء التوفيقية (الاجتهادية):

١- العقود: وسميت بهذا الاسم لورود هذا اللفظ في أولها ولما فيها من عقود، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

٢- المنقذة: لأنها اشتملت على أحكام كثيرة من التزم بها أنقذته من عذاب النار، ويقول ابن الفرس (٢): سميت بالمنقذة لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب (٣).

٣- الأخيار: سميت بالأخيار؛ لأن الصحابة ﷺ كانوا يسمون المائدة سورة الأخيار، لأنها تتحدث عن الإيفاء بالعقود ولا يفي بها إلا الأخيار (٤).

المطلب الثاني

مكان وزمان نزول السورة

سورة المائدة مدنية نزلت بالمدينة بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

مرحلة نزولها:

١- جاءت روايات كثيرة توضح أنها نزلت بعد سورة الفتح التي نزلت بعد صلح الحديبية في شهر شوال سنة ست للهجرة (٥).

٢- وقال بعض المفسرين: أنها نزلت جملة واحدة ما عدا آية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]، في سير رسول الله ﷺ في حجة الوداع (٦).

٣- يورد الشهيد سيد قطب تحليلاً منطقياً لهذين الرأيين نوجزه فيما يلي:

- محادثة موسى ﷺ مع بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة، والتي وردت في السورة كانت معلومة للمسلمين لاستشهاد سعد بن معاذ بقول بني إسرائيل حين جمع النبي ﷺ المسلمين في

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٦٩/٦، وتفسير القرآن الكريم، ص ٢٦١.

(٢) ابن الفرس: هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي، ولد سنة ٥٢٤هـ-١١٣٠م، قاضي أندلسي له مصنفات عديدة منها أحكام القرآن، توفي في البرة ٥٩٩هـ-١٢٠٣م، انظر: الأعلام للزركلي، ١٦٨/٤.

(٣) انظر: روح المعاني، ٢٢١/٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ٦٩/٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٣/٦، التحرير والتنوير، ٧١/٦.

(٦) انظر: في ظلال القرآن، ٨٣٢/٦.

ساحة بدر بعد ذهاب العير ومجيء النفير قال: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، وغزوة بدر وقعت في رمضان في السنة الثانية للهجرة.

- الحملة على اليهود في السورة تبين أن لهم نفوذاً قوياً اقتضى هذه الحملة عليهم لكشف موقفهم وإبطال كيدهم وخمول ذكركم بعد هذا الكشف بعد غزوة الخندق - في العام الرابع - التي انتهى فيها الدور اليهودي نهائياً في المدينة (١).

- يرجح سيد قطب أن بعض مقاطع السورة - في أولها - نزلت بعد الفتح، وبعض المقاطع نزلت بعد ذلك (٢).

وأقول:

١- أرحح نزول بعض آياتها في العام التاسع قبل سير النبي ﷺ لحجة الوداع وذلك لقدم وفد نصارى نجران في هذا العام، في الجزء الأخير منه فأبوا أن يسلموا ودعوا للمباهلة فأبوا وأقروا الجزية.

٢- حادثة العرنين الذين قدموا المدينة في السنة الخامسة قبل صلح الحديبية واستوخموا المدينة فأرسلوا إلى ابل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبوالها، ثم كفروا بعد إسلام، وقتلوا الراعي ومثلوا به، واستاقوا الإبل فبلغ ذلك الرسول ﷺ، فبعث في طلبهم فأمر بهم فسملوا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وثركوا حتى ماتوا، والذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾ [المائدة: ٣٣].

ويقول ابن عاشور: "ولذلك اختلفوا في أن هذه السورة نزلت متتابعة أو متفرقة؟ ولا ينبغي التردد في أنها نزلت متفرقة" (٣).

أما اليوم الذي نزلت فيه فقد ورد فيه روايتان:

الأولى: "روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة" (٤).

(١) انظر: في ظلال القرآن ٨٣٢/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٨٣٢/٦.

(٣) التحرير والتنوير، ٧٢/٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ح (٤٥)، ١٨/١.

والثانية: يوم الإثنين، فعن ابن عباس رضي الله عنه: "ولد نبيكم يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين" ^(١).

وقد جاء في بعض التفاسير، نزولها بعد صلح الحديبية، على اعتبار أنها نزلت بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية، في السنة السادسة من الهجرة ^(٢).

موقعها من النزول:

هي آخر ما نزل من القرآن الكريم، وقد جاء في رواية عائشة رضي الله عنها أنها آخر ما نزل من القرآن، عن جبير بن نفير ^(٣) قال: "حجبت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرّموه" ^(٤).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن آخر سورة نزلت سورة المائدة ^(٥).

وللتوفيق بين هذه الأقوال والقول بأن سورة التوبة هي آخر ما نزل نقول: إن آخر سورة نزلت في بيان الحلال والحرام هي سورة المائدة، وأن آخر سورة نزلت في بيان أحكام الجهاد هي سورة التوبة.

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ح (٢٩٨٤) ٢٣٧/١٢.

(٢) انظر: وأهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، صفوة التفاسير، ٣٠١/١، والتفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٠/٦.

(٣) قال الإمام الذهبي: جبير بن مالك بن عامر، الإمام الكبير، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحمصي، أدرك حياة النبي ﷺ وحدث عن أبي بكر - فيحتمل أنه لقيه - وعن عمرو المقداد وأبي ذر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت وعائشة وأبي هريرة وعدة.

روى عنه ولده عبد الرحمن، ومكحول، وخالد بن معدان، وأبو الزاهرية حدير بن كريب، وربيع بن زيد، وشرحبيل بن مسلم، وسليم بن عامر وآخرون.

روى سليم بن عامر عنه قال: استقبلت الإسلام، فلم أزل أرى في الإسلام صالحاً وطالحاً، وكان جبير من علماء أهل الشام، وممن روى عنهم مالك بن يخمر السكسكي وأبو مسلم الخولاني وأم الدرداء، وكان هو وكثير بن مرة من أئمة التابعين بحمص وبدمشق، قال بتوثيقهما غير واحد.

قال أبو عبيد وأبو حسان الزياتي مات جبير بن نفير في سنة خمس وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٧٦-٧٧، أما ابن سعد وشباب وعلي بن عبد الله التميمي فقالوا: توفي سنة ثمانين. انظر: الجزء المتمم من الطبقات الكبرى، ٣١٨/١.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، ح (٣٢١٠)، ٣٤٠/٢، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) المرجع السابق، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، ح (٣٢١١)، ٣٤٠/٢، صححه الحاكم.

المطلب الثالث

فضائل السورة، وجو نزولها

أنزل الله ﷻ القرآن فيه هدى ونور ورحمة، وشفاء للمؤمنين، وهذا الأمر ينطبق على سور القرآن كلها دون استثناء، ولكن هناك بعض السور تتميز بفضائل خاصة، ميزتها عن السور الأخرى، ومن هذه السور، سورة المائدة فهي لها فضل عظيم على الأمة الإسلامية، لما تضمنته من أحكام وشرائع هامة، من شأنها تنظيم شئون الفرد والمجتمع على حد سواء، كتمييز الحلال من الحرام في المأكولات، والنهي عن شرب الخمر، والأمر بالحج والوضوء، والغسل والتيمم، والعدل في الحكم، وبيان أحكام الحرابة، وغير ذلك. ومما ورد في فضلها ما يلي:

روى الإمام أحمد رحمه الله عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: "إني لآخذة بزمام العضباء (١) ناقة رسول الله ﷺ: "إذ أنزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة" (٢). وروى عن عبد الله بن عمرو ؓ أنه قال: "أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها" (٣). وقد جاء في المستدرک عن عمر بن الخطاب ؓ أنه كان يقول: "تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور، فإن فيهن الفرائض" (٤).

(١) العضباء: هي المقطوعة الأذن أو المشقوقة، واختلف هل العضباء هي القصواء أو غيرها فمن العلماء من قال: هي نفسها وتسمى القصواء والعضباء والجدهاء وهذه ألقاب وصفات لها ومنهم ابن سعد عن الواقدي وابن فارس، والقاضي عياض الذي يقول: "كانت معضوبة الأذن مقصوته ومجودته فوصفت مرة بعضباء ومرة بقصواء ومرة بجدهاء ولا تبقى حجة لمن زعم أنها نوق للنبي ﷺ وكل منها اسم أو صفة بخلاف غيرها على ما ذهب إليه بعضهم إذ لم يكن ﷺ في خطبته في حجة الوداع إلا على واحدة". ومنهم من قال: إنها تختلف ولكن العلماء ومنهم ابن حجر وعلي القاري يرجحون أنها ناقة واحدة ذات صفات متعددة، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى المالكي، ٩٥/٢-٩٦، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٧٣/٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، باب من حديث أسماء بنت زيد، ح (٢٧٥٧٥)، ٥٥٧/٤٥، قال الأرنؤوط: الحديث حسن لغيره.

(٣) مسند الإمام أحمد، باب أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح (٦٦٤٣)، ٢١٨/١١، قال شعيب الأرنؤوط: الحديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، والأكثر على ضعفه وقد يحسن حديثه، وبقيته رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، ح (١٠٩٦٢)، ٤٧٠/٧.

(٤) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، ح (٣٤٩٣)، ٤٢٩/٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

عن جبير بن نفير قال: حجبت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي: يا جبير تقرأ المائة؟ فقلت: نعم، قالت: "أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه" (١).

الجو الذي نزلت فيه السورة:

نزل هذا القرآن على قلب رسول الله ﷺ لينشئ به أمة، وليقيم به دولة ولينظم به مجتمعاً، وليربي به ضمائر وأخلاقاً وعقولاً، وليحدد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه، وروابط تلك الدولة على سائر الدول، وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم، وليربط ذلك كله برباط قوي واحد، يجمع متفرقه، ويؤلف أجزاءه، ويشدها كلها إلى مصدر واحد، وإلى سلطان واحد، وإلى جهة واحدة، وذلك هو الدين، كما هو في حقيقته عند الله تعالى وكما عرفه المسلمون، أيام أن كانوا مسلمين، نجد سورة المائة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها موضوعات شتى، الرابط بينها جميعها هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه وإنشاء أمة وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع على أساس عقيدة خاصة وتصور معين، الأصل فيه إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان، وتلقى منهج الحياة وشريعته ونظامها وموازينها وقيمها (٢).

نزلت سورة المائة بعد أن اشتد عود الإسلام في المدينة المنورة ورسخت أركان الدولة الإسلامية، واستقام للنبي ﷺ أمر العرب، ولم يبق في عناد الإسلام إلا اليهود والنصارى، وأن الفترة الزمنية لنزولها كانت ممتدة بعد صلح الحديبية، الذي حصل في السنة السادسة والنصف للهجرة النبوية إلى عام حجة الوداع.

وقد وردت الروايات في نزول بعض آياتها بعد الحديبية، وبعضها في حجة الوداع كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] (٣).

ولكن إذا كان المشركون قد انقضى عهدهم والمسلمون قد علا شأنهم، فإن المسلمين في حاجة إلى إكمال التشريع المنظم لشئونهم على وجه يضمن لهم دوام السعادة ويحفظ لهم السيادة، ولهم بعد ذلك صلات خاصة بطوائف من أهل الكتاب يعيشون في ذمتهم وعهدهم ويخالطونهم في حياتهم ومعاملاتهم ومن هنا نتبين أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في حاجة إلى ما يعينهم في الجانبين: جانب أنفسهم، وجانب علاقتهم بأهل الكتاب وبذلك دار كل ما تضمنته سورة المائة على أمرين بارزين: تشريع للمسلمين في خاصة أنفسهم وفي معاملة من يخالطون، وإرشادات لطرق

(١) سبق تخريجه، انظر: ص ٥ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٦/٦٢٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٦/٧٣.

المحاجة والمناقشة وبيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب مما يتصل بالعقائد والأحكام وفي سياق هذه المحاجة عرضت السورة كثيراً من مواقف الماضين من أسلاف أهل الكتاب مع أنبيائهم تسلياً للنبي ﷺ من جهة وتنديداً بهم عن طريق أسلافهم من جهة أخرى (١).

وهذه الفترة الزمنية الممتدة من السنة السادسة إلى العاشرة للهجرة قبيل التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، كانت من الأهمية بمكان لاستكمال شرائع الإسلام المتصلة بوجود الأمة الإسلامية وهويتها والمحافظة عليها وترسيخ القيم الإيمانية والتربوية في بناء الشخصية الإسلامية، والمجتمع الإسلامي، وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة، منها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها، وذلك لاستكمال شرائع الإسلام وترسيخ دعائم المجتمع الإسلامي وتميزه الحضاري والتشريعي (٢).

المطلب الرابع

المحور الأساس للسورة

التشريع لإقامة المجتمع المسلم المستمد أمره من الله تعالى:

نجد في سورة المائدة كما وجدنا في السور الطوال مثلها موضوعات شتى الرابط بينها جميعاً هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه إنشاء أمة، وإقامة دولة وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة خاصة وتصور معين وبناء جديد، الأصل فيه أفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان (٣)، فنجد أن السورة اشتملت على العديد من الأحكام الشرعية؛ لأن الدولة الإسلامية كانت في بدايتها وتكوينها وهي بحاجة إلى المنهج الرباني الذي يعصمها من الزلل ويرسم لها طريق البناء والاستقرار، وقد برز في هذه السورة عناية خاصة بالتحدث عن العهود والمواثيق حيث إن سياق السورة كله يدور حول العقود والمواثيق في شتى صورها حتى حوار الله تعالى مع المسيح يوم القيامة الوارد في نهاية السورة نجده سؤالاً عما عهد به إليه وما إذا كان قد خالفه كما زعم الزاعمون بعده (٤).

المطلب الخامس

الأهداف العامة للسورة

١- بيان العديد من الأحكام الشرعية، مثل أحكام العقود، ونكاح الكتابيات والوصية عند الموت، والردة، وأحكام الطهارة، وحد السرقة، وحد البغي والإفساد في الأرض، وتحريم الخمر والميسر،

(١) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص ٦١.

(٢) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، القرطبي، ص ٦.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٦/٨٢٥.

(٤) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص ٦٣.

والمطعمومات من ذبائح و صيود، وكفارة اليمين، وحكم ترك العمل بما أنزل الله ﷻ، وأحكام الحاربة، إلى آخر ما هنالك من الأحكام الشرعية، قال العلماء: فيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها^(١).

٢- بيان العبر والعظات التي اشتملت عليها بعض القصص التي وردت فيها مثل: قصة بني إسرائيل مع موسى وهي ترمز إلى التمرد والعصيان والطغيان حيث قالوا لرسولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة:٢٤] ، وما حصل لهم من التشرذم والضياع والنتية نتيجة ذلك^(٢).

وكذلك قصة ابني آدم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ...فَأُصْبِحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠] التي ترمز إلى الصراع العنيف بين قوتي الخير والشر ممثلة في قصة قابيل وهابيل، حيث قتل قابيل أخاه هابيل وكانت أول جريمة تحدث في الأرض، فهي تعرض لنموذجين من نماذج البشرية، نموذج النفس الشريرة الأثيمة، ونموذج النفس الخيرة الكريمة.

كما ذكرت قصة المائة التي كانت معجزة لعيسى بعد أن طلب منه الحواريون ذلك، وهي تدل على طبيعة بني إسرائيل ومدى تمردهم وعدم إيمانهم إلا بعد حصول المعجزات^(٣).

٣- تكشف السورة عن الوجه البشع لليهود والنصارى بما نسبوه لله تعالى مما لا يليق من الذرية والبنين، وبما نقضوا من العهود والمواثيق، وبما حرفوا من التوراة والإنجيل. وتحذر من اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين وبما كفروا برسالة محمد ﷺ إلى آخر ما هنالك من ضلالات وأباطيل.

٤- بيان أن دين الله تعالى واحد، وإن اختلفت الشرائع والأنبياء، وتذكير الناس بنعم الله ﷻ عليهم.

٥- بيان عموم بعثة النبي ﷺ وأمره بالتبليغ العام ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة:٩٩] ^(٤).

٦- بيان أصول صلاح المجتمع الإسلامي من خلال إصلاح النفوس والوفاء بالعقود والعهود وتحريم الاعتداء على الآخرين، والتعاون على البر والتقوى وتحريم التعاون على الإثم والعدوان وتحريم موالاتة الكفار ووجوب الشهادة بالعدل والحكم بالقسط والمواساة بين المسلمين.

(١) انظر: التفسير المنير، ٦/٦١.

(٢) انظر: قيس من نور القرآن، ص ٧١.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٤) انظر: التفسير المنير، ٦/٦٢.

٧- بيان أحكام المطعومات والمشروبات من حيث الحل والحرمة وتحريم العديد من العادات التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك مثل الخمر والميسر والأنصاب والأزلام^(١).

٨- **والخلاصة:** أن من أهم مقاصد السورة أنها تتحدث عن "الوفاء بما هدى إليه الكتاب... وهي تقرر أصلاً تأصيله وهو: أن الحكم بما أنزل الله جوهر الإسلام وأن ما شرعه الله للناس من حلالٍ أو حرام هو المنهج الحق الذي ينبغي للمؤمن أن يلتزمه ويتمسك به، فإن تركه وحاد عنه فليس من الإيمان في شيء".

٩- تقرير أهداف الشريعة الإسلامية ومقاصدها الخمسة وهي:

أ. **حفظ الدين:** ويعد أكبر الكليات الخمسة وأرقاها ومعناه تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله تعالى ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر والإلحاد والتهاون في أداء الواجبات، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] ^(٢).

ب. **حفظ النفس:** ومعناه مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، ومن أجل حفظ النفس شرعت أحكام كثيرة منها تحريم القتل وتشريع القصاص وتحريم التشويه والتمثيل، ومعاقبة المحاربين وقطاع الطرق، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢] ^(٣)، كما أمر بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج.

ج. **حفظ العقل:** اعتنت الشريعة الإسلامية بالعقل وجعلته شرطاً في التكليف، ومناطقاً في التعامل مع أحوال النفس والكون، اكتشفاً لأسرارها واستنباطاً لقوانينها والاستفادة من خيراتها^(٤)، وقد أمر الله الإنسان بالتفكير والتدبر والتأمل، كما أن الإسلام حفظ العقل واهتم به من خلال منع

(١) انظر: مساعد النظر، ١٠٦/٢.

(٢) علم المقاصد الشرعية، ص ٨١.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٤) انظر: علم المقاصد الشرعية، ص ٨٤.

ما يعيقه ويعطله وذلك كتحريم المسكرات والمخدرات والمفترتات، وكل ما يغيب العقل عن دوره في التفكير والتدبر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] (١).

د. **حفظ النسل:** ومعناه القيام بالتناسل المشروع عن طريق العلاقة الزوجية الشرعية وليس بالتناسل الفوضوي كما هو عند الحيوانات، أو بعض المجتمعات الإباحية المادية، وكذلك حفظ العرض ومعناه: صيانة الكرامة والعفة والشرف والمعاني الثلاثة المذكورة (النسل والنسب والعرض) تعد المقصد الشرعي الكلي الرابع الذي أقره الإسلام (٢).

هـ. **حفظ المال:** ومعناه: إثماره وإثراؤه وصيانته من التلف والضياع والنقصان، والمال كما يقال: قوام الأعمال، لذلك يُعد مقصداً شرعياً كلياً وقطعياً لدلالة النصوص والأحكام عليه ومن تلك الأحكام:

• معاقبة آكلي أموال الناس بالباطل بالحدود والتعزيزات كمعاقبة السارق بقطع يده والمحارب أو قاطع الطريق بإحدى العقوبات المنصوص عليها بحد الحرابة في سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

• تحريم السرقة والنصب والغش والرشوة وكل وجوه أكل مال الغير بالباطل.

• منع اكتناز الأموال وتكديسها كي لا يسهم ذلك في تعطيل ترويجها والانتفاع بها والاستفادة منها (٣).

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية، ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٥.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثاني عشر الآية (٢٧-٤٠)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٢٧-٣٢) من سورة المائدة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٣٣-٤٠) من سورة المائدة

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (٢٧-٣٢) من سورة المائدة

جرائم وعقوبات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قصة ابني آدم.

المطلب الثاني: جزاء البغي والحسد والإفساد في الأرض.

المطلب الأول

قصة ابني آدم

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَ يَتَقَبَّلَ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَكِن بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِيَتُقَاتِلَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿[المائدة: ٢٧-٣١].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى تمرد بني إسرائيل وعصيانهم لأمر الله في قتال الجبارين ذكر قصة ابني آدم وعصيان قابيل أمر الله وإقدامه على قتل النفس البريئة التي حرمها الله. فاليهود اقتفوا في العصيان أول عاص لله في الأرض، فطبيعة الشر فيهم مستقاة من ولد آدم الأول فتشابهت القصتان من حيث التمرد والعصيان. فوجه اتصال الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهد كظلم ابن آدم لأخيه (١).

والمناسبة أن قابيل أول من أفسد في الأرض وأن بني إسرائيل أكثر من أفسدوا في الأرض والمناسبة بين هذه القصة وبين القصة التي قبلها مناسبة تماثل ومناسبة تضاد.

فأما التماثل فإن في كليهما عدم الرضا بما حكم الله فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه؛ لأنه لم يكن من المتقين.

أما التضاد فإن في إحداها إقداماً مذموماً من ابن آدم وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل، وإن في إحداها اتفاق أخوين هما موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد (٢).

(١) انظر: قيس من نور القرآن، ص ٨٩، صفة التفاسير، ٣١١/١، التفسير المنير، ١٥٣/٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦٨/٦.

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات:

ابني آدم: فيه قولان:

١- هما ابناه لصلبه ^(١) وهو قول جمهور المفسرين والدليل ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ ، وفي التوراة هما قايين - والعرب يسمونه قاييل - وأخوه هابيل.

٢- أنهما ليسا من صلبه وأنهما كانا من بني إسرائيل وهو قول الحسن والضحاك والدليل ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، والقول الثاني ضعيف ^(٢) ، وهذا الرأي ضعيف؛ لأن بني إسرائيل ينسبوا إلى يعقوب، وبنو إسرائيل لم يوجدوا في ذلك التاريخ.

قرباناً: القربان الشيء يخرج المرء من ماله بقصد التقرب إلى الله من صدقة أو نسك أو صلاة ^(٣).
وأقول: كل طاعة لله تعتبر قرباناً.

فطوعت: حسنت وزينت له نفسه قتل أخيه فقتله ^(٤)، وفي لسان العرب سمحت وسهلت له نفسه قتل أخيه ^(٥).

السوأة: العورة والفاحشة، والسوأة: الفرج ^(٦)، أي أنها ما يسوء رؤيته وما لا يجوز أن ينكشف من جسده وهي هنا تغير رائحة القتيل وتقطع جسده ^(٧)، ويقول الشوكاني: "والمراد بالسوأة هنا ذاته كلها لكونها ميتة" ^(٨).

تبوء: ترجع، يقال باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل ^(٩)، ويرى الطبري أن معناها في الآية

(١) انظر: جامع البيان، ٢٠٨/١٠، تفسير الخازن، ٣٢/٢، تفسير المراغي ١٩٧/٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٢٨/١، التفسير المنير، ١٥٧/٦.

(٢) انظر: فتح القدير، ٤٥/٢.

(٣) انظر: لسان العرب، ٦٦٤/١، إعراب القرآن وبيانه، ٤٥٠/٢، تفسير غريب القرآن، ٢٧/٥.

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه، ٤٥٠/٢، قيس من نور القرآن الكريم، ص ٩١.

(٥) انظر: لسان العرب، ٣٤١/٨.

(٦) انظر: المحيط في اللغة، ١١٨/١، لسان العرب، ٩٧/١.

(٧) انظر: معجم اللغة العربية، ١٥٤٦/١.

(٨) التحرير والتنوير، ١٧٣/٦.

(٩) انظر: فتح القدير، ٤٨/٢، التفسير الحديث، ٩٥/٩.

(١٠) جامع البيان، ٢١٦/١٠.

﴿ تَبَوَّءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [المائدة: ٢٩] ، "إني أريد أن تتصرف بخطيئتك في قتلك إياي" ^(١)، والمعنى أن ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي وإثمك في معاصيك السابقة من قبل قتلي وهذا رأي أكثر العلماء ^(١).

الجوانب البلاغية:

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ ولم يقل خبر لأن النبا يحتمل الصدق ولا يحتمل الكذب، والمقصود الخبر الهام، أما الخبر فيحتمل الصدق ويحتمل الكذب.

قوله "بالحق": يشير إلى ما حف في القصة من زيادات زادها أهل القصص من بني إسرائيل في أسباب قتل أحد الأخوين أخاه، وحتى يتبين أن القصة بعيدة عن الكذب والباطل والمبالغة وأن كلها حق فالحق بمعنى الصدق.

إنما: تفيد الحصر، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ^(٢)، والقريان مفرد وليس جمع لإرادة الجنس، أي أن كل واحد منهما قرب قرباناً وليس قرباناً مشتركاً، حيث إن قريان قابيل (حزمة من سنبل) وهابيل (كباش) وتقبل من أحدهما (هابيل) ولم يُتقبل من (قابيل) ومعنى هذا الحصر أن الله لا يتقبل من غير المتقين وكان ذلك شرع زمانهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] موعظة وتعريض أن قابيل لم يكن تقياً وفيها دليل على أن الله لا يقبل الطاعة إلا من مؤمن متق ^(٣)، والكلام جامع مانع فقد جمعت هذه الجملة الكثير من المعاني بكلام مختصر ^(٤).

* في قوله تعالى: ﴿ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ ﴾ ^(٥): طباق سلب.

* قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه موعظة لأخيه ليذكره خطر هذا الجرم الذي أقدم عليه وفيه إشعار أنه يستطيع دفعه ولكنه منعه منه، خوف الله تعالى؛ لأن القتل كان محرماً في شريعة بني آدم.

(١) انظر: جامع البيان، ١٠/٢١٥، أيسر التفاسير، ١/٦١٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٦/١٦٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦/١٧٠.

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه، ٢/٤٥٠.

(٥) انظر: التفسير المنير، ٦/١٥٢.

في قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩] ، قال: (وذلك جزاء الظالمين) ولم يقل

الكافرين؛ لأن قابيل عاصي ولم يكن كافراً.

فطوعت: الفاء تدل على التفريع والتعقيب.

طوعت: استعارة تمثيلية.

والمعنى الحاصل من هذا التمثيل أن نفس قابيل سولت له قتل أخيه بعد ممانعة أو على سبيل الإطناب، وكان مقتضى الإيجاز أن يحذف (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يقتصر على قوله فقتله لكنه عدل عن ذلك لقصد تفضيح حالة القاتل وقساوة قلبه^(١).

يا ويلتي: من صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجب وأصله يا لويلتي^(٢)، وهي مجاز لأنه نادى ما لا يعقل، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل^(٣).

* قوله تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ الاستفهام إنكاري، فأصبح نادماً أشد ندامة وتدل على تمكن الندامة منه، ويحتمل أن هذا الندم لم يكن ناشئاً عن خوف وعذاب الله ولا قصد توبة فلذلك لم ينفعه^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

توضيح قصة قابيل وهابيل كما ذكرها المفسرون: أن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن توأمين ذكراً وأنثى، وكان آدم صلوات الله عليه يزوج الذكر من هذا البطن بالأنثى من البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما (هابيل وقابيل) فلما أراد آدم أن يزوج هابيل أخت قابيل ويزوج قابيل أخت هابيل، أبى قابيل وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أخته وأنا أحق أن أتزوج بها^(٥).

قال ابن اسحق: وكانت أخت قابيل من أحسن الناس فضنّ بها على أخيه وأرادها لنفسه، فقال له أبوه: يا بني إنها لا تحل لك فأبى قابيل أن يقبل ذلك، فقال له أبوه: يا بني قرب قرباناً

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٧٢/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٧٣/٦.

(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه، ٤٥٠/٢ ، تفسير المنار، ٢٨٧/٦ .

(٤) انظر: محاسن التأويل ، ١١١/٤ ، فتح القدير، ٣٧/٢.

(٥) انظر: تفسير السمعاني، ٢٩/٢ ، زاد المسير، ٥٣٦/١ ، مراح لبيد لكشف معني القرآن المجيد، ٢٦٣/١ ، قيس

من نور القرآن، ص ٩٠.

ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها، وكان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرب جذعة سمينة، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب قابيل وقال: لأقتلنك حتى لا تتكح أختي، فذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] (١).

ثم تتابع السورة سرد أحداث تلك القصة العجيبة فيقول الله: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠-٣١] ، ومعنى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه أي حثت وزينت له نفسه قتل أخيه فقتله فخرس وشقي بذلك ولم يكن هابيل أضعف قوة من قابيل ولكنه كان متقياً لله.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "وايُّم الله، إن كان هابيل لأشد الرجلين ولكن منعه الترحج - أي الورع - والخوف من الله ولما قتله لم يدر كيف يدفنه فتركه بالعراء حتى رأى غراباً يحفر بمنقاره ورجله الأرض، لِيُري القاتل كيف يستتر جسد أخيه (٢)".

قال مجاهد: "بعث الله غرابين فاققتلا، حتى قتل أحدهما الآخر ثم حفر له فدفنه فذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾ (٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله والمشهور أنه قتله بحديدة في يده، وروى ابن جرير عن السدي أنه لما طلبه ليقنتله فر الغلام في رؤوس الجبال فأثاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات، فتركه بالعراء حتى هداه الغراب إلى طريقه دفنه (٤).

وهذه أول جريمة قتل تقع في الأرض ولهذا ورد الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها لأنه كان أول من سن القتل) (٥).

(١) انظر: جامع البيان، ٢٠٥/١٠، مفاتيح الغيب، ٣٣٧/١١ .

(٢) جامع البيان، ٢٠٣/١٠، تفسير القرآن العظيم، ٨٥/٣ .

(٣) انظر: تفسير مجاهد، ٣٠٦/١ .

(٤) انظر: جامع البيان، ٢٢٢/١٠ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح (٣٣٣٥)، ١٣٣/٤، صحيح مسلم، كتاب

القسامة والمحاربيين والديات والقتل، باب بيان إثم من سن القتل، ح (٤٣٩٥) ١٠٦/٥ .

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- استعداد القلب والعقل لتلقي الأحكام المشددة التي يواجه بها الإسلام جرائم الاعتداء على النفس والحياة في ظل المجتمع المسلم القائم على منهج الله تعالى.
- تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان ونموذجاً من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة وتفقهما وجهاً لوجه كل منهما يتصرف وفق طبيعته^(١).
- التحذير من آفة الحسد وبيان عاقبتها: حيث بينت القصة أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل في البشر وأنه هو رأس المفسد والمعايب والرزائل في المجتمع ، فالأمة المتحاسدة ممزقة متعادية متباغضة لا تجتمع على خير ولا تلتقي على فضيلة ولا تتعاون على بر وصلاح وتقدم، مما يؤدي إلى الضعف والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم^(٢)، فنجد الحسد موجوداً في مجتمعاتنا وسبباً في ضعفها فالقريب يحسد قريبه سواء على المال أو الولد أو الجاه حتى نجده موجود بين الأخوة ويسبب الفرقة بينهم حتى أنه قد يحمل حسده على إهلاك نفسه بقتل أخيه أقرب الناس إليه وأمسهم به رحماً وأولاهم بالحنو عليه، فالله ﷻ يعلمنا أنه موجود منذ الأزل منذ أن حسد إبليس الملعون آدم ﷺ عندما أمر بالسجود له فكانت العاقبة اللعنة من الله إلى يوم الدين، كذلك الحسد موجود بين أبناء الأنبياء عليهم السلام عندما قتل قابيل أخاه هابيل فكانت العاقبة الخسران في الدنيا والآخرة، وكذلك حسد اليهود للنبي ﷺ حتى هموا بقتله مع صحابته، وكذبوا رسالته وحرفوا أوصافه فاستحقوا اللعنة والغضب.
- بيان أن بعض النفوس تبغض أهل الخير والصلاح ولا ترضى عن الاستقامة والهدى، ولهذا فاليهود حرب على كل صالح ومستقيم، ولهذا شرع الله لعباده العقوبة لهؤلاء المجرمين كما يبدو جلياً في بلاد المسلمين ومحاربة اليهود والأمريكان لهم مثلما حدث مع الرئيس محمد مرسي في مصر.

خامساً: الدروس المستفادة من قصة ابني آدم:

- ١- مشروعية التقرب إلى الله بما يجب أن يتقرب به إليه تعالى^(٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٢/ ٨٧٤ .

(٢) انظر: التفسير المنير، ٦/ ١٥٧ .

(٣) انظر: أيسر التفاسير، ١/ ٦٢١ .

- ٢- أهل الإيمان أبعد الناس عن سفك الدماء بغير حق، وكلما قوي الإيمان بُعد المؤمن عن الإجرام لهذا يقول الله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ [النساء: ٩٢] (١).
- ٣- عظم جريمة الحسد وما يترتب عليها من الآثار السيئة (٢).
- ٤- القاتل في الآخرة إذا سفك الدم الحرام واجه قول الله ﷻ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] ، ويقول النبي ﷺ : (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) (٣).
- ٥- يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بالقاتل يقول: (يا رب سل هذا فيم تقتلني) (٤).
- ٦- قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص لله تعالى:
- ٧- يصيب الغم القاتل بعد جريمته ولا يكاد ينفك عنه، وقد من الله على نبيه موسى ﷺ بالنجاة من الغم فقال ﷻ ﴿ وَفَتَلْتَنَّ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ [طه: ٤٠] .
- ٨- الاستفادة من تجارب الآخرين ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا... ﴾ [المائدة: ٣١] (٥).
- ٩- الإسراع في دفن الميت ومشروعيته وبيان زمنه.
- ١٠- بيان أن أول من سن جريمة القتل هو قبيل ولهذا ورد "ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها" (٦).
- ١١- بيان أن خير ابني آدم هو المقتول ظلماً وشرهما هو القاتل ظلماً.
- ١٢- الحذر من شر النفس الأمانة بالسوء التي تسول وتزين للإنسان فعل المعصية ونهيها وردّها إلى الله.
- ١٣- التزود بالتقوى فإنه مؤثر للقضاء على الظلم والمفاسد بجميع أنواعها.

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص ٣١٩.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ٦٢١/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] ح (٦٨٦٢) ، ٢/٩.

(٤) مسند أحمد، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ح (٢٣١٦٥) ، ٢٣٣/٣٨ .

(٥) انظر: تفسير المراغي ، ١٠١/٦ .

(٦) سبق تخريجه، انظر: ص ١٨ من هذا البحث.

المطلب الثاني

جزاء الحسد والبغي والإفساد في الأرض

قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد ذكر قصة ابني آدم عليهما السلام وبسبب هذا الجرم الفظيع والفعل القبيح الذي فعله أحد الأخوين بالآخر ظلماً وعدواناً تقرر تشريع القصاص وفرض حكمه على بني إسرائيل لأن التوراة أول كتاب حرم فيه القتل بغير سبب موجب للقصاص الذي شرعه الله تعالى بقوله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ... ﴾ [المائدة: ٤٥] ^(١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ... ﴾.

الأجل: الجَزَاء والتسبب ومنه الجناية والجريمة، وأجل من أجل شراً عليهم يأجله أي جنى جناية: أي من جريرة ذلك ^(٢).

كتبنا: شرعنا كقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

البيئات: الحجج البينة والمعجزات الساطعات والآيات الواضحات ^(٣).

الفساد: هو ما يصدق عليه فساد في الأرض (الشرك، قطع الطريق، سفك الدماء العرنيين).

أحيائها: من استنقذها من الموت لظهور أن الإحياء بعد الموت ^(٤)، وفي المنير أحيائها المراد بها استنقاها ولم يتعرض لها لأن إحياء النفس حقيقة من مقدرات الله وحده ^(٥).

(١) انظر: التفسير الواضح، ٥٠٥/١، أيسر التفاسير، حومد، ٧٠٢/١.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، ١٣٢/١١، لسان العرب، ٢٧٢/١، ١٢/١١، تفسير الشعراوي، ٣٠٨٥/٥.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، ١٧٠/١٥، التحرير والتنوير، ١٧٦/٦، صفوة التفاسير، ٣١٣/١.

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٤٤٣/١، البحر المديد ٣٣/٢، التحرير والتنوير، ١٧٨/٦.

(٥) انظر: التفسير المنير، ١٥٢/٦.

* قوله ﷻ: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرْفُونَ﴾.

الإسراف: البعد عن حد الاعتدال.

ومسرفون: مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك والمراد المسرفون في الفساد التي منها قتل الأنفس.

الجوانب البلاغية:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: تقديم الجار والمجرور تفيد القصر، أي من أجل ذلك القتل لا من غيره كتبنا على بني إسرائيل.

الطباق بين كلمة (قتل - أحيا) وهو من المحسنات البديعية.

التشبيه في قوله فكأنما قتل الناس جميعاً غرضه تهويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعاً، قوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ لُمْسِرْفُونَ﴾: التقديم للاهتمام وهو يفيد زيادة تفضيع الإسراف فيها مع أهمية شأنها (١).

القراءات:

* قوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾.

(فساد): قرأ الجمهور بالجر فساد عطفاً على نفس، وقرأ الحسن بالنصب (فساداً) على تقدير فعل محذوف يدل عليه أول الكلام تقديره: أو أحدث فساداً في الأرض، وفي هذا ضعف، ومعنى قراءة الجمهور: أن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً (٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد هذا القتل الذي وقع على هابيل بغير ذنب كتبنا وشرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفساً لم تقتل نفساً تستحق عليها القصاص ولم ترتكب جرماً تستحق عليه القتل فكأنما قتل الناس جميعاً ومن تركها حية ولم يقتلها فكأنما أحيا الناس جميعاً، وبلغت هذه الأحكام لبني إسرائيل عن طريق رسولهم ولكنهم مع ذلك ظلت فئة كثيرة منهم تمارس القتل بلا هوادة ولا رحمة ولم توقفها أوامر الله

(١) انظر: فتح القدير، ٥١/٢، إعراب القرآن وبيانه، ٤٦٢/٢، التحرير والتنوير، ١٧٨/١-١٧٩.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ١٨٢/٢، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ٩٢/١، القراءات وأثرها في علوم العربية ١٤٨/١.

ولا ما قال الرسل وأسرفوا في القتل كثيراً وما زالوا^(١).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- التوطئة لمشروعية القصاص المصرح به في الآية التالية.
- أن عقاب قتل النفس كعقاب قتل الأنفس وهو في الدنيا بالقصاص العادل وفي الآخرة بعذاب جهنم.
- تقرير وتوبيخ بني إسرائيل: حيث إن الله أرسل الرسل بالبينات في هذه القصة وفي غيرها، ثم لم يزل الكثير منهم بعد ذلك وفي كل عصر يسرفون في القتل ويتجاوزون الحدود ويرتكبون المحارم بعد علمهم بها^(٢).
- حق الحياة مقدس ومصون لجميع البشر: هذا يدل على أن نفس الإنسان ليس ملكه وإنما هي ملك للمجتمع الذي يعيش فيه فمن اعتدى على نفس ولو بالانتحار استحق العذاب الشديد يوم القيامة ومن أحمى نفساً بأي سبب كان فكأنما أحمى الخلق كلهم^(٣).
- تخصيص بني إسرائيل بالذكر: جاء التخصيص في الآية لبني إسرائيل مع أن القتل كان محرماً على من قبلهم ومن بعدهم وأن القصاص عام في جميع الأديان والملل وذلك:
 ١. لأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس مكتوباً وكان قبل ذلك مطلقاً فغلظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء فهم مع علمهم بشناعة القتل أقدموا على قتل الأنبياء^(٤).
 ٢. تسليية للرسول ﷺ لأن يهود بني النضير هموا بقتله والفتك بأصحابه وتجاوزوا حدود الله وكذلك تسليية لكل مؤمن يتعرض لمكر اليهود عليهم لعنة الله وخصوصاً في أرض فلسطين المحتلة.
 ٣. تأديب من الله ﷻ لبني إسرائيل ومع الأسف لم ينتفعوا به.
 ٤. أن فساد بني إسرائيل ليس عن جهل، وإنما كان وما يزال اتباعاً لأهوائهم وجرياً وراء الدنيا وزينتها فلذا غضب الله عليهم ولعنهم لأنهم عالمون.

(١) انظر: أنوار التنزيل، ١٢٤/٢، مدارك التنزيل، ٤٤٣/١، نظم الدرر، ١٢٥/٦، إرشاد العقل السليم، ٢٩/٣.

(٢) المحرر الوجيز، ١٨٣/٢.

(٣) التفسير المنير، ١٥٦/٦، التفسير الواضح، ٥٠٦/١.

(٤) زهرة التفاسير، ٢١٣٨/٤.

- الترغيب في إنقاذ الناس من الهلاك: لهذا شرع الله الدفاع عن النفس والمال والعرض، وإذا قتل في هذا السبيل قتل شهيداً، وذلك نراه في وقتنا الحالي، وما يقوم به المجاهدون من الرباط على الثغور لحماية البلاد من الأعداء وبطشهم فكان لهم الجزاء في الدنيا والآخرة، وكذلك إنقاذ الناس من الحرق، أو الغرق، أو الهدم، أو ما يميّت لا محالة، أو استنقاذها من ضلاله.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (٣٣-٤٠) من سورة المائدة

حدود وتشريعات

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حدُّ الحرابة.

المطلب الثاني: أساس النجاة في الآخرة.

المطلب الثالث: حد السرقة.

المطلب الأول

حدّ الحاربة

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

تحدثت الآيات السابقة عن خطورة جريمة القتل وأن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً حيث قرن الله ﷻ قتل النفس بالفساد في الأرض وجعل كلاً منهما مبرراً للقتل، وبين فظاعة جريمة إزهاق النفس وهي توطئة لبيان عقوبة الإفساد في الأرض، وجاءت هذه الآيات تقرر وتشرع عقوبة المحاربين الذين يفسدون في الأرض ويروعون الناس بالاعتداء على أرواحهم وأموالهم وحرمانهم حتى لا يتجرأ أحد على المحاربة^(١).

ثانياً: سبب النزول:

آية الحاربة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

روى البخاري عن أنس بن مالك أن نفراً من عُكْل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا^(٢) المدينة وسقمت أجسامهم فشكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك فقال: (ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيبون من أبوالها وألبانها، فقالوا: بلى - فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا، فقتلوا الراعي، وطردهوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم ففُطِعتْ أيديهم وأرجلهم، وسُملت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا^(٣)).

(١) انظر: التفسير المنير، ١/١٦٣.

(٢) استوخموا المدينة: استنقلوها، ولم يوافق هواؤها أبدانهم، فمضوا.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب القسامة، ح (٦٨٩٩) ٩/٩، صحيح مسلم، كتاب الحدود والديات، باب

حكم المحاربين، ح (٤٣٦٩)، ٥/١٠٢.

سبب نزول الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

روى ابن جرير أنه جاء رجل من مراد إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة إمارة عثمان ؓ بعدما صلى المكتوبة فقال: يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك، أنا فلان بن فلان المرادي، وإني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض فساداً، وإني تبت من قبل أن تقدروا عليّ، فقام أبو موسى وقال: إن هذا فلان بن فلان وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، وإنه تاب من قبل أن نقدر عليه، فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير، فإن يك صادقاً فسبيل من صدق وإن يك كاذباً تدركه ذنوبه، فأقام الرجل ما شاء الله ثم إنه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله (١) ولم يك صادقاً في توبته.

وروى ابن كثير: أن علياً الأسدي حارب الله ورسوله وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال، فطلبه الأئمة والعامّة فامتنع ولم يقدرُوا عليه حتى جاء تائباً وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها، فقرأها عليه، فغمد سيفه ثم جاء تائباً حتى قدم المدينة من السّحر، فاغتسل ثم قدم مسجد رسول الله ﷺ فصلى الصبح ثم قعد إلى أبي هريرة في أعمار أصحابه فلما أسفروا، عرفه الناس فقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليّ جنّت تائباً من قبل أن تقدروا عليّ.

فقال أبو هريرة صدق فأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية، فقال: هذا عليّ قد جاء تائباً ولا سبيل لكم عليه ولا قتل فترك من ذلك كله.

قال وخرج عليّ تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر فلقوا الروم فقبوا سفينة من سفنهم إلى سفينته فاقتحم على الروم من سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت بهم فغرقوا جميعاً (٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

المحارب: الذي يحارب بالسلح ويقاثل عدواناً لقصد المغنم (٣).

يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: بالخروج عن طاعتها وحمل السلاح على المؤمنين وقتلهم وسلب أموالهم

(١) انظر: جامع البيان، ٢٨٢/١٠، تفسير القرآن العظيم، ١٠٢/٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٠٣/٣، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٣٢١/٢.

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ١٨٤/٢، التحرير والتنوير، ١٨١/٦.

والاعتداء على حرمتهم، وتكون محاربة الله بمحاربة شرعه والاعتداء على أحكامه^(١).
﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الفساد: إتلاف الأفس والأموال وهو ضد الصلاح، والسعي في الأرض فساداً إخافة الناس وقطع الطرق وسلب الأموال والاعتداء عليهم^(٢).
﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ الصلب: هو وضع الجاني الذي يراد قتله مشدوداً على خشبة ثم قتله عليها طعناً بالرمح في موضع القتل وهو قول مالك، وقيل الصلب بعد القتل وهو مذهب الشافعي^(٣).
﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والعكس^(٤).
﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي الطرد من أرض الإسلام وأصله الإهلاك والإبعاد ومنه النفاية لردئ المتاع^(٥).

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي من قبل أن تتمكنوا منهم بأن فروا بعيداً ثم جاءوا مسلمين^(٦).

القراءات:

قرأ الجمهور (يقتلوا- يصلبوا- تقطع) بالتشديد في هذه الأفعال للمبالغة والتكثير، أما قراءة الحسن ومجاهد وابن محيظ (يقتلوا- يصلبوا- تقطع) بالتخفيف^(٧).

الجوانب البلاغية:

إنما: تفيد الحصر.

يحاربون الله ورسوله: محاربة الله هو على حذف مضاف أي محاربة شرع الله والاعتداء على أحكامه، وقد تكون حرب حقيقية أي محاربة دين الله ومنع الناس من دخول دينه وتكون بمحاربة أولياء الله لأن الله لا يحارب ولا يغالب فالكلام على سبيل المجاز^(٨).
سمى فعل المحاربين محاربة لله ورسوله: للتهويل والتشنيع^(٩).

(١) انظر: أيسر التفاسير، ٦٢٤/١، التحرير والتنوير، ١٨١/٦.

(٢) انظر: زاد المسير، ٥٤٢/١، التفسير المنير، ١٦١/١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ١٨٣/٦.

(٤) انظر: الجواهر الحسان، ٣٧٤/٢، التفسير الحديث، ١٠١/٩.

(٥) انظر: المحيط في اللغة، ٤٧٢/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٦٨٢/١.

(٦) انظر: تفسير المراغي، ١٠٤/٦، الموسوعة القرآنية، ٣٨١/٩.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ١٨٥/٢.

(٨) انظر: اللباب، ٣٠٣/٧، فتح القدير، ٤١/٣، صفوة التفاسير، ص ٣١٤.

(٩) انظر: التحرير والتنوير، ١٨١/٦.

يقتلوا، يصلبوا: القصد من المبالغة إيقاعه بدون لين ولا رفق ولا شفقة تشديداً عليهم^(١).

فاعلموا أن الله غفور رحيم: الفاء فصيحة عمّا دل عليه الاستثناء من سقوط العقوبة مع عظم الجرم، والمعنى: إن عظم عندكم سقوط العقوبة عن تاب قبل أن يُقدّر عليه فاعلموا أنّ الله غفور رحيم^(٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

تذكر الآيات جزاء المحاربين المفسدين الذين يخالفون ما أمر الله تعالى به ويأتون ما نهى عنه، وهم قطاع الطرق الذين يعيشون في الأرض فساداً وينتهكون الحرمات، ويفسدون الأمن، فجزاء أمثال هؤلاء أن يقتلوا إن كان جرمهم القتل فقط، أو يصلبوا إن كان جرمهم القتل وسلب المال، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن كان جرمهم سلب المال أي السرقة بالإكراه، وطريقة ذلك أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، يده للسرقة، ورجله لإخافة الطريق، أو النفي من أرضه ووطنه إن كان جرمهم التخويف فقط، والنفي: أن يطرد من موطنه قسراً حتى يلحق بأرض العدو نفيه من بلده إلى بلد آخر يسجن حتى تبدوا توبته وتظهر إنابته، ويقلع عن معصية الله، كل هذا الجزاء المتقدم ذل وفضيحة في الدنيا تعلق بهم وبأبنائهم وذرائعهم، ويستثنى من ذلك الذين تابوا عن محاربة الله تعالى ورسوله، وعادوا إلى حظيرة الإيمان من قبل أن تتمكنوا منهم فأولئك ليس لكم عليهم من سبيل لأن الإيمان يجب ما قبله^(٣).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- بيان حكم الحرابة وحقيقتها: فالحرابة هي خروج جماعة اثنان أو أكثر ويكون بأيديهم سلاح ولهم شوكة إلى الصحراء بعيداً عن المدن والقرى، يشنون هجمات على المسلمين فيقتلون ويسلبون ويعتدون على الأعراس.

أ- فإن كان المحاربون مسلمين فالخزي لهم هو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل والصلب والنفي، وفي الآخرة ينجون من عذابها إن تابوا قبل الموت.

وإن كان المحاربون كافرين، فالخزي عذاب الدنيا والعذاب العظيم لهم في الآخرة وفرقنا بين المسلمين والكافرين، لأن إقامة الحد على المسلمين يكفر ذنب الجريمة للحديث الصحيح في

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٨٦/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٨٦/٦.

(٣) انظر: لطائف الإشارات، ٤٢١/١، الدر المصون، ٣/٦٥، أوضح التفاسير، ١٢٣/١، البحر المديد، ٣٦/٢،

التفسير المظهرى، ٨٩/٣.

البيعة (فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له) (١)، فقله: (فهو كفارة له) دليل على سقوط عذاب الآخرة بالحد (٢).

ب- الجمهور على أن اللص كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكف وينصرف وإن أبى يقاتل ويقتل، ومن قتله اللص فهو في الجنة، وإن قتل اللص فهو في النار (٣)، للحديث الصحيح: عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطيه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني، قال: فأنت شهيد، قال: فإن قتلته؟ قال: فهو في النار (٤).

- العقوبات للبيان أم للتخيير؟

أ. الإمام مخير في إنزال العقوبة التي يراها مناسبة لاستتباب الأمن وهو رأي الجمهور من الأئمة وهو أكثر انسجاماً مع الآية وأرفق وأصلح لأن أصل (أو) الدلالة على أحد الشئيين.

ب. إذا اعتبرنا هذه العقوبات للبيان والتقسيم فمن قتل وأخذ المال وأخاف الناس قتل وصلب ومن قتل ولم يأخذ مالاً قُتل، ومن قتل وأخذ مالاً قُطعت يده ورجله من خلاف، فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ومذهب الجمهور في قطع اليد أن يد المحارب لا تقطع إلا في مال تقطع فيه يد السارق وهو زنة ربع دينار ذهب فأكثر ومن لم يقتل ولم يأخذ مالاً، لكنه أخاف الطريق يُنفى (٥).

- تضمنت الآية حكيمين: حكم عقاب المحاربين، وحكم التائبين.

* **حكم عقاب المحاربين:** المحاربون يعاقبون في الدنيا والآخرة، في الدنيا الخزي والعار والفضيحة مع إقامة الحد، وهذا لا يسقط عنهم العذاب في الآخرة، ولا يُطهرهم من دنس الجريمة ولو كانوا مسلمين.

* **حكم التائبين:** بينت الآية أن توبة المحارب الكافر تقبل ولا يطالب بشيء أما المحارب المسلم فله عدة صور: لا يطالب بشيء فيعامل معاملة الكافر الذي تاب قبل أن يقدر عليه ولا يسقط

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان وحب الأتصار، ح (١٨)، ١٢/١٢، صحيح مسلم، كتاب الحدود والديات، باب الحدود كفارات لأهلها، ح (٤٤٨١)، ٤٤/٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٦/١٨٥-١٨٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٥٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من قتل دون ماله، ح (٢٧٧)، ١/٨٧.

(٥) انظر: فتح القدير، ٢/٤٤، التحرير والتنوير، ٦/١٨٥.

عنه القصاص إذا طالب به ولي المقتول أما إذا لم يطالب بدمه فيعفو عنه، ويسقط عنه حق الله لكن حقوق العباد لا تسقط عنه والله اعلم^(١).

- **بيان عظم جريمة قطع الطريق وبشاعتها:** دلت الآية على أن قطع الطريق من أعظم الذنوب وهو موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وفاعله محارب لله ورسوله وأن تطهير الأرض من المفسدين وتأمين السبل والطرق من أعظم الحسنات ومن أجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض كما أن ضده إفساد الأرض.

- **رحمة الله واسعة:** إن الله ﷻ يعفو ويغفر لمن تاب مع بشاعة وعظم جرمه، وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده بقبول التوبة من المحاربين واعتبارها دليل صلاح وهداية، وفيها تشجيع على التوبة من أي ذنب يقترفه الإنسان في حياته وعدم القنوط من رحمة الله.

- **قساوة عقوبة السجن على الإنسان:** النفي من الأرض كما يكون بالطرد والإبعاد يكون بالحبس، فالمسجون ينفي من سعة الدنيا إلى ضيقها، ويؤخذ من ذلك بشاعة وعظم عقوبة الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا ولذاتها ولا يرى أحداً من أحبائه فهو بعيد عن جميع اللذات والشهوات والطيبات، وهو مقبرة الأحياء .

المطلب الثاني

أساس النجاة في الآخرة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿ [المائدة: ٣٥-٣٧].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين الله بعض الجرائم بين أنه إن لم يكن وازع النفوس كافياً فلا بد من الردع بعقوبات زاجرة فيها إيلاء للمجرمين ونكالا يجعل غيرهم يفكر فيما يترقبه من عقاب إن حدثته نفسه بالجرائم، وإن لم يكن له من نفسه واعظ كان له من العقاب أعظم رادع، ثم بين ﷻ الطريق لمحاربة الآثام في النفس قبل أن يظهر الشر ويطفح على الألسنة والجوارح هو أن يتقربوا إلى الله بالتقوى والعمل الصالح وهو المقصود الأصلي من مهام القرآن^(٢).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٥٨/٦، زهرة التفاسير، ٢١٥٧/٤، التفسير المنير، ١/١٦٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٢١٦٠/٤، زهرة التفاسير، ٢١٦٠/٤، التفسير المنير، ١٧١/٦.

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾: خافوه واحشوا عقابه (١).

الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسائل (٢)، وفي الآية: هي كل ما يتوسل به إلى الله من عمل صالح (٣)، وتطلق الوسيلة على أعلى منزلة في الجنة (٤)، وهي التي جاء الحديث الصحيح بها في قوله ﷺ: (فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (٥).

عذاب مقيم: دائم ثابت لا ينقطع ولا يزول (٦).

البلاغة:

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ هُمُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ أي ليجعلوه فدية لأنفسهم، هذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه (٧).

وصف العذاب بأنه (أليم) ثم وصفه بأنه (مقيم) استكمال لصورة هذا العذاب وأنه يجمع بين الألم واستمرار هذا الألم الذي يقيمون فيه إقامة دائمة لا نهاية لها (٨).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله ﷻ سوء عاقبة المحاربين له تعالى ولرسوله ﷺ وجه ﷻ نداءه للمؤمنين وأمرهم فيه بتقوى الله، والتقرب إليه بالعمل الصالح فقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، أي يا أيها الذين آمنوا خافوا الله تعالى بطاعة أوامره واجتتاب نواهيه، واطلبوا ما يقربكم إلى ثوابه من فعل الطاعات والخيرات وجاهدوا في سبيله بإعلاء كلمة دينه ومحاربة أعدائه، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه.

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٧٩٢/١ ، ٢٢٠/١، التفسير المنير، ١٧٠/٦.

(٢) انظر: لسان العرب، ٧٢٥/١١، تاج العروس، ٧٥/٣١.

(٣) انظر: أوضح التفاسير، ١٣٣/١.

(٤) انظر: التفسير الواضح، ٥٠٩/١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، ح (٦١٤)، ١٢٦/١.

(٦) انظر: بحر العلوم، ٣٨٧/١.

(٧) انظر: الكشف، ٤٥٨/١، مفاتيح الغيب، ٢٢١/١١، محاسن التأويل ١٢٩/٤.

(٨) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ١٠٩٣/٣.

وهذه الآية أرشدت المؤمنين إلى ما يسعدهم بأن ذكرت لهم ثلاث وسائل لتحصيل الفلاح وهذه الوسائل هي: تقوى الله والتقرب إليه بما يرضيه ﷺ، والجهد في سبيله، وأما الغاية والنتيجة لكل ذلك فهي الفوز والفلاح والنجاح (١).

وبعد ذلك بين الله تعالى ما أعدّه للكافرين من عذاب أليم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إن الذين كفروا لو كان عندهم ما في الأرض وضعفه معه من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة على كفرهم ما نفعهم هذا كله ولا قبل الله منهم ذلك، لأن سنته ﷺ اقتضت أن تكون نجاة الإنسان من العذاب يوم القيامة متوقفة على الإيمان والعمل الصالح لا على الأموال وما يشبهها من حطام الدنيا مهما عظم شأنها وكثر عددها، وهؤلاء لا سبيل لهم إلى الخلاص من عقاب الله تعالى ولهم عذاب مؤلم شديد (٢).

عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له: يا ابن آدم، كيف وجدت مضجعتك؟ فيقول: شر مضجع، فيقال له: رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك، أن لا تشرك بالله شيئاً فيؤمن به إلى النار) (٣).

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ يريد هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار بعد أن ذاقوا عذابها وآلامها، وليسوا بخارجين منها أبداً بسبب ما ارتكبوه من قبائح ومنكرات في الدنيا، ولهم عذاب دائم ثابت لا ينقطع، ففي هذه الآية الكريمة قطع لآمال الكافرين قطعاً لا التئام معه وتبييس لهم من مثل هذا الرجاء غير النافع (٤).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- وجوب تقوى الله ﷻ وطلب القربة إليه والجهد في سبيله وأن التقوى والجهد هما أساس الفلاح في الآخرة.

(١) انظر: النكت والعيون، ٣٥/٢، التفسير القرآني للقرآن، ١٠٩٣/٣، تيسير التفسير، ٣٩٨/١.

(٢) انظر: جامع البيان، ٢٩٣/١٠، إرشاد العقل السليم، ٣٣/٣، التفسير الوسيط، الزحيلي، ٤٥٧/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ح (٦٥٣٨)، ١١٢/٨.

(٤) انظر: لباب التأويل، ٤٠/٢، الجواهر الحسان، ٣٧٥/٢، التفسير الواضح، ٥١٠/١، التفسير الوسيط،

طنطاوي، ١٤٣/٤.

- مشروعية التوسل إلى الله بالإيمان وصالح الأعمال وكذلك طلب الدعاء من الصالحين الأحياء والاستغاثة بهم، أما إذا كان المطلوب منه الدعاء ميتاً أو غائباً فغير جائز وهو من البدع.
- عظم عذاب يوم القيامة وشدته غير المتناهية.
- لا فدية يوم القيامة ولا شفاعة تنفع الكافر فيخرج بها من النار، وثبوت استحقاق الكفار العذاب الأليم.
- ترغيب الله ﷻ بما أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة، وأن المسلم مطالب بالجهاد دائماً بمختلف أنواعه.
- الدعاء لله تعالى يكون مباشرة وبلا وساطة فالله لا يحتاج وسطاء لقوله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

المطلب الثالث

حد السرقة

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِّنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٣٨-٤٠] .

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

هناك تناسب واضح بين حكم السرقة وحكم الحرابة فالحرابة كما يقول الحنفية سرقة كبرى جهاراً، والأخرى سرقة صغرى خفية فبعد أن بين الله تعالى عقوبة المحاربين الذين يفسدون في الأرض، وأمر الناس بالتقوى حتى يبتعدوا عن الحرام والمعاصي ذكر عقوبة اللصوص الذين يأخذون المال خفية، ومن أنواع عقاب المحاربين في آية الحرابة: قطع الأيدي والأرجل من خلاف وعقاب السرقة: قطع اليد (١).

(١) انظر: فتح البيان، ٤١٦/٣ ، تفسير المراغي، ١١٣/٦ ، التفسير المنير، ١٧٩/٦ .

ثانياً: سبب النزول:

نزلت هذه الآية في طعمة بن أبيرق حيث سرق درع جار له يدعى قتادة بن النعمان في جراب دقيق به خرُق، وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي ، فتناثر الدقيق من بيت قتادة إلى بيت زيد، فلما تنبه قتادة للسرقة التمسها عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها وما له بها علم ، ثم تنبهوا إلى الدقيق المتناثر، فتبعوه، حتى وصل إلى بيت زيد فأخذها منه، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد ناس من اليهود بذلك، وهمّ رسول الله ﷺ أن يجادل عن طعمة لأن الدرع وجد عند غيره، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا مُجَادِلَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، ثم نزلت هذه الآية لبيان حكم السرقة (١).

وأخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقَت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى، فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأُنزل الله في سورة المائدة ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩] (٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات:

الساوق: من يأخذ المال خفية من حرز خفية ويقدر بربع دينار فأكثر (٣).

نكالاً: عقوبة من الله وترهيباً للساوق ولغيره (٤).

عزيز: لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب (٥).

حكيم: أتقن كل شيء خلقه تمام الإتيان (٦).

الجوانب البلاغية:

ذكر الساوق والساوقة مع أنه إذا قال الساوق تشمل الساوقة أيضاً؟ وذلك لزيادة البيان ومخافة أن يظن البعض أن هذا الحكم خاص بالرجال أما بالنسبة للنساء فهو جائز.

(١) انظر: أسباب النزول، ص ١١١.

(٢) مسند أحمد، باب أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، ح (٦٦٥٧)، ٦/٢١٤.

(٣) انظر: لسان العرب، ١٠/١٥٦، روح المعاني، ٣/٣٠٣.

(٤) انظر: لسان العرب، ١١/٦٧٧، بحر العلوم، ١/٣٨٨.

(٥) انظر: مدارك التنزيل، ١/٤٤٦، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٣١.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٣١، التفسير المنير، ٦/١٧٨.

وقدم السارق على السارقة على الرغم من وجود آية أخرى تقدم فيها الزانية على الزاني لأن حب المال بالنسبة للرجال أقرب إلى قلوبهم وأحب منه بالنسبة للنساء وأن الرجل على السرقة أجراً أما الزنا فلأن المرأة قد تكون هي المبادرة والسبب في نجاح هذه الجريمة أو فشلها (١).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ...﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والاستفهام ألم إما استفهام بياني، جواب لمن يسأل عن انقلاب حال السارق من العقاب إلى المغفرة (٢)، أو استفهام إنكاري مع تقرير العلم (٣).

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة من باب الترتيب.

القراءات:

(والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهم) قراءة عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي وهي شاذة لا يقرأ بها ولكن يعمل بها (٤).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله في الآيات السابقة حد الحرابة وقطع الطريق بين لنا عقوبة السرقة وهي قطع اليد وشرع ﷺ هذا الحد هنا لأن الحرابة هي سرقة كبرى تكون جهراً فناسب أن يبين بعدها أحكام السرقات الصغرى التي تكون خفية، فالذي يسرق والتي تسرق اقطعوا أيديهما جزاءً بما ارتكبا عقوبة لهما وردعاً لغيرهما وذلك الحكم من الله تعالى، والله تعالى غالب على أمره، حكيم في تشريعه، فقد وضع للجرائم عقوبات رادعة مانعة من شيوعها وانتشارها بين أفراد المجتمع، والمخاطب بقطع اليد هم ولاة الأمور، الذين يرجع تنفيذ الحدود إليهم، فمن تاب إلى الله تعالى توبة صادقة من بعد ظلمه لنفسه بسبب إيقاعها في المعاصي التي أكبرها السرقة وأصلح عمله بالطاعات التي تمحو السيئات فإن الله تعالى يقبل توبته إن الله تعالى واسع المغفرة والرحمة ومن مظاهر ذلك أنه فتح لعباده باب التوبة والرجوع إليه ﷺ (٥).

ثم ساق الله ﷺ ما يدل على شمول قدرته ونفاذ إرادته بصيغة الاستفهام التقريرية فقال ألم تعلم أيها العاقل أن الله تعالى له ملك السموات والأرض يتصرف فيهما وفي غيرهما من خلقه تصرف المالك في ملكه من دون مدافع أو منازع، فإذا علمت ذلك أيها العاقل علماً يقينياً

(١) انظر: النكت والعيون، ٣٥/٢، تفسير العز بن عبد السلام، ٣٨٥/١، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٥/٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ١٩٤/٦.

(٣) انظر: فتح القدير، ٤٧/٢.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، ١٧٢/٢، المحرر الوجيز، ١٨٨/٢.

(٥) انظر: زاد المسير ٥٤٥/١، لباب التأويل، ٤٠/٢، التفسير القرآني للقرآن، ١٠٩٣/٣.

فاعمل بمقتضى هذا العلم، بأن تكون مطيعاً لخالقك في كل ما أمر به ونهى عنه، وبأن تدعو غيرك إلى هذه الطاعة فإن الله تعالى صاحب السلطان في التعذيب والعفو وهو ﷻ القوي القادر على كل شيء (١).

فائدة:

قال الأصمعي: "قرأت يوماً هذه الآية ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ وإلى جنبي أعرابي فقلت ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سهواً فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: ليس هذا بكلام الله، أعد فأعدت وتنبهت فقلت وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فقال: نعم هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال يا هذا: عزّ فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع" (٢).

روى ابن كثير: أن أول من قطع يد السارق في الجاهلية قريش فقد قطعوا يد دُوَيْك مولى لبني مُليح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة؛ ويقال: سرقه قومٌ فوضعوه عنده (٣).

وحد السرقة واحد من أعمال الجاهلية التي أقرها الشرع واستمر العمل بها في الدية والقسامة والقراض وأول سارق في الإسلام قطعت يده هو: الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأول سارقة في الإسلام هي: مرة بنت سفيان المخزومية (٤).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- إن من الأدب مع الله أن نتقبل أحكامه وأوامره ونسلم بها ونرضى بها بنفس طيبة لقوله ﷻ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- بيان حكم حد السرقة وهو قطع يد السارق والسارقة.
- بيان أن التائب من السراق إذا أصلح يتوب الله عليه أي: يقبل توبته، وهذا من رحمة الله بالمسلمين أن فتح لهم باب التوبة ورجعهم فيها.
- إذا لم يرفع السارق إلى الحاكم تصح توبته ولو لم تقطع يده، وإن رفع فلا توبة له إلا بالقطع فإذا قطعت يده خرج من ذنبه كأن لم يذنب.

(١) انظر: معالم التنزيل، ٥٤/٣، إرشاد العقل السليم، ٣٦/٣.

(٢) انظر: زاد المسير في التفسير، ٥٤٦/١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٠٧/٣.

(٤) انظر: النكت والعيون، ٣٦/٢، أيسر التفاسير، ٦٢٩/١.

- بيان أهمية الأمن الاجتماعي في نظر الإسلام وعقاب المخلون بالأمن.
- لا قرابة بين الله تعالى وبين أحد توجب المحاباة حتى يقول قائل: نحن أبناء الله وأحباؤه والحدود تقام على كل من يقارف موجب الحد أي يرتكب الجرم.
- الجرائم بمختلف أنواعها لها في الشرع ما يردع عنها ويحول دون انتشارها.
- العقوبات الشرعية زجرٌ للمجرمين وعبرة للناظرين.
- من أساليب القرآن الكريم عرض الأحكام بعدة طرق منها: أن يكون مفرقا في أكثر من موضع مثل تحريم الخمر ، ومنها أن يكون في موضع واحد والتفصيل في السنة مثل حد السرقة ، ومنها أن يأتي الحكم مجملا والتفصيل في السنة مثل الصلاة ، وفيه دليل على أهمية السنة النبوية في معرفة الأحكام التشريعية.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثاني عشر الآيات (٤١-٥٠)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٤١-٤٥) من سورة المائدة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٤٦-٥٠) من سورة المائدة.

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (٤١ - ٤٥) من سورة المائدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طبائع وقبائح اليهود كما صورها القرآن.

المطلب الثاني: التوراة هدى ونور.

المطلب الثالث: بعض أحكام التوراة وموقف اليهود منها.

المطلب الأول

طبائع وقبائح اليهود كما صورها القرآن

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُواكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤١-٤٣] .

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بين الله تعالى بعض التكاليف والشرائع التي أعرض عنها بعض الناس متسارعين إلى الكفر تحدثت هذه الآيات عن اليهود ووسائلهم الخبيثة في معارضة الدعوة الإسلامية، وتصبير وتسلية الرسول على تحمل ذلك وأمره بأن لا يحزن لأجل ذلك (١).

ثانياً: سبب النزول:

ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾ ثلاثة أقوال:

قيل: نزلت في بني قريظة والنضير، قتل قرظي نصيرياً وكان بنو النصير إذا قتلوا من بني قريظة لم يُقيدوهم، وإنما يعطونهم الدية على ما يأتي بيانه، فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم بالتسوية بين القرظي والنضيري، فساءهم ذلك ولم يقبلوا (٢).

وقيل: إنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، بقوله بني قريظة حين أرسله النبي ﷺ إليهم حين حصارهم: "إنما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد" (٣)، فخان النبي ﷺ.

وقيل: إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم، قال القرطبي: "وهذا أصح الأقوال" (٤).

(١) انظر: تفسير المراعي، ١١٨/٦، في ظلال القرآن، ٨٨٨/٢، التفسير المنير، ١٩٤/٦.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ١٩٠/٢، التفسير الواضح، ٥١٤/١.

(٣) انظر: جامع البيان، ٣٠١/١٠.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦/٦.

رواه الأئمة مالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود (١).

والقصة ما يأتي:

عن البراء بن عازب قال: مر النبي ﷺ بيهودي محمماً (٢) مجلوداً، فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم، قال: لا ولولا أنك نشدنتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد.

قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال النبي ﷺ: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه وأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ (٣)، ويقول خالد الزيني: "أن سبب نزول هذه الآيات حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في زنى اليهوديين، وحكم النبي ﷺ فيهما بالرجم لصحة سند الحديث، وتصريحه بالنزول، وموافقته لسياق الآيات واحتجاج المفسرين به والله أعلم" (٤)، من ذلك نجد أن كل الروايات سببها فضيحة اليهود في تحريفهم الكلم وتغييرهم الأحكام حسب أهوائهم.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

لا يحزنك: لا يؤلمك، والحزن والحزن خلاف السرور وهو ألم يجده الإنسان عند موت ما يحب (٥).

يسارعون في الكفر: أي يقعون في الكفر بسرعة ويرضون به ويقبلونه (٦).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦/٦.

(٢) محمماً: وضع الحمة، أي الفحمة على الوجه وهو التسخيم في الرواية الأخرى، والسخام هو سواد القدر، انظر: تاج العروس، ٣٥٦/٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود والديات، باب رجم اليهود في الزنى، ح (٤٤٥٩)، ١٢٢/٥.

(٤) المحرر في أسباب نزول القرآن، ٤٩١/١.

(٥) انظر: تفسير المنار، ٣٢٠/٦، تفسير المراغي، ١١٦/٦، صفوة التفاسير، ٣١٧/١.

(٦) انظر: التفسير المنهجي، ص ٥٦.

فتنته: اختباره حتى يظهر ما تتطوي عليه نفسه، والفتنة الاختبار بالنار والابتلاء، وفي التنزيل ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الانباء: ٣٥] (١).

سماعون للكذب: كثيرو السماع له (٢).

السحت: كل حرام قبيح الذكر وهو كل ما خبت كسبه وقبح مصدره وفي اللغة الهلاك والشدة وسمي المال الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات والبركات أي يذهبها (٣).

وفسر ابن مسعود السحت بالرشوة في الدين، وقال ابن عباس: الرشوة في الحكم، وقال علي: الرشوة مطلقاً، قيل له: الرشوة في الحكم؟ قال: ذاك الكفر (٤).

وترى الباحثة أن السحت هو المال الحرام ويشمله جميعاً كالربا والرشوة سواء في الدين أو في الحكم وأكل مال اليتيم.

البلاغة:

يا أيها الرسول خوطب بلفظ الرسالة للتشريف والتكريم (٥).

يسارعون في الكفر: إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه إلى بعض آخر (٦).

سماعون للكذب: صيغة مبالغة أي مبالغون مكثرون في سماع الكذب.

(خزي) تنكيهه لتفخيم الأمر، وكرر قوله: (ولهم في الآخرة) لزيادة التقرير والتأكيد أي لتأكيد ما قبله والتمهيد لما بعده وإفادة اهتمام المتكلم به (٧).

في الدنيا، والآخرة بينهما طباق.

وكيف يحكمونك: الاستفهام للتعجب أي تعجب من تحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه، ويحتمل أن يكون الاستفهام إنكارياً: أي لا يحكمونك حقاً لأنه صوري يبتغون به ما يوافق

(١) انظر: المعجم الوسيط، ٦٧٣/٢، المرجع السابق ص ٥٦.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ٦٣١/١.

(٣) انظر: جامع البيان، ٣١٩/١٠، المحرر الوجيز، ١٩٣/٢، تفسير النسفي، ٤٤٨/١، تفسير المراغي، ١١٦/٦، التحرير والتنوير، ٢٠٣/٦.

(٤) انظر: تفسير المنار، ٣٢٤/٦.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٥٨/١١.

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم، ٢٧/٢، زهرة التفاسير، ٢١٨٤/٤، صفوة التفاسير، ص ٣٢٠.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٦٠/١١، تفسير المنار، ٣٢٤/٦.

أهواءهم^(١).

قوله: ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾: إشارة بالبعيد للإيدان ببعد درجاتهم في العتو والمكابرة^(٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله تعالى بعض التكاليف الشرعية تحدثت هذه الآيات عن اليهود ووسائلهم الخبيثة في معارضة الدعوة الإسلامية فوجه ﷺ الخطاب للنبي ﷺ تسلياً له وإيداناً بأنه الرئيس المعنى بشئونه فناده بعنوان الرسالة التي كذب بها المنافقون واليهود معاً فقال ﷺ: يا أيها الرسول ﷺ لا يحزنك صنع الكافرين الذين ينتقلون في مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها، مسارعين فيها، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا بألسنتهم آمناً، ولم يصل الإيمان إلى قلوبهم ولم يذعنوا للحق، ولا يحزنك كذلك اليهود الذين يكثرون الاستماع إلى مفتريات أحبارهم، ويستجيبون لهم ويكثرون الاستماع والاستجابة لطائفة منهم، ولم يحضروا مجلسك تكبراً وبغضاً وهؤلاء تجدهم يبدلون ويحرفون ما جاء في التوراة من بعد أن أقامه الله تعالى وأحكمه في مواضعه، ويقولون لأتباعهم: إن أوتيتم هذا الكلام المحرف المبدل وأمركم محمد به فاقبلوه وأطيعوه، وإن لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره.

ثم بين الله تعالى لنبيه ﷺ أمراً مطمئناً وحقيقة لا تتغير ولا تتبدل وهي أن من أراد الله إضلاله فلن تستطيع أن تهديه أو تنفعه بشيء لم يُرده الله تعالى له.

وأولئك هم الذين أسرفوا في الضلال والعناد، لم يرد الله تعالى أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعناد والكفر، ولهم في الدنيا ذل الفضيحة والهزيمة ولهم في الآخرة عذاب شديد عظيم.

وهذه الآية الكريمة تبين أن هؤلاء المسارعين في الكفر فريقان: الأول فريق المنافقين، والثاني: فريق اليهود، والآية تدعو النبي ﷺ ألا يخفل بهم ولا يألم لباطلهم.

إن هؤلاء المنافقين واليهود من صفاتهم أنهم كثيرو الاستماع للكذب وكثيرو الأكل للمال الحرام بجميع ألوانه، ومن كان هذا شأنه فلا تنتظر منه خيراً ولا تأمل منه رشداً^(٣).

وقد اشتهر اليهود بصفة خاصة في كل زمان، بتقبل السحت وأكل الحرام، فالله يقول لرسوله ﷺ إن جاءك هؤلاء يطلبون الحكم فيما ارتكبوا من حرام، فأنت بالخيار إن شئت فاحكم بينهم وإن شئت فأعرض عنهم وفي كلا الحالين لن يضروك شيئاً.

(١) انظر: التحرير والتتوير، ٢٠٦/٦، التفسير المنير، ١٩١/٦.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، ٣٢٠/١.

(٣) انظر: تفسير المنار، ٣٢١/٦، تفسير المراغي، ١٣٩/٤، التفسير المنهجي، ص ٥٧-٥٨.

فإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط والعدل إن الله يحب المقسطين، فَحَكَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ وَهُوَ الرَّجْمُ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يَتَّقَدُوهُ، فَرَجِمَ الَّذِينَ زَنُوا.

والسؤال: لِمَ يُحَكِّمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بِهَا وَفِيهَا الْحُكْمُ، وَالْجَوَابُ: إِنَّمَا هُوَ الْهَرُوبُ وَالتَّخْلِي عَنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَالتَّنْصِلُ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْعَجِيبُ أَنَّهُمْ يَعْرَضُونَ عَنْ حُكْمِكَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُمْ، مَعَ أَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا بِكِتَابِهِمُ التَّوْرَةَ، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ لَنَفَذُوا حُكْمَهُ، وَلَا بِكَ يَا مُحَمَّدٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِكَ لَاسْتَجَابُوا لَكَ فِيمَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ وَتَنْهَاهُمْ عَنْهُ (١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- ينبغي على الداعية أن لا يحزن من سلوك الكافرين فالله لهم بالمرصاد.
- الإيمان اعتقاد بالقلب وإعلان باللسان، وعمل بالجوارح، فدعوى الإيمان من غير اعتقاد وعمل لا ينفع.
- طبائع اليهود وأخلاقهم الذميمة كثيرة ومتعددة، فالواجب الحذر منهم فهم أمة البغي والإفساد في كل زمان ومكان.
- يرشدنا الله ﷻ إلى أدب الخطاب مع النبي ﷺ بقوله يا أيها الرسول حتى لا نناديه كما كان يفعل بعض الأعراب، وهو أدب أفاضل الصحابة.
- اليهود لا يأخذون من دينهم إلا ما يحقق أهواءهم ومصالحهم ويرفضون ما سوى ذلك.
- لا بد من العدل مع المحتكمين إلينا، حتى لو كانوا خصومنا أو من غير المسلمين وهذا بيان لفضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس وأن الله تعالى يحبه.
- تقرير كفر اليهود وعدم إيمانهم لأن العلماء قالت: إن من طلب غير حكم الله تعالى من حيث لم يرض به فهو كافر، وهذه حالة اليهود وحال كثير من المسلمين اليوم حيث لم يرضوا بحكم الله وحكموا بقوانين أرضية هابطة.
- الحاكم المسلم مخير في الحكم بين أهل الكتاب إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أحالهم على علمائهم.
- استحباب ترك الحزن واجتناب أسبابه ومثيراته.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ٢٣١/١-٢٣٢، تفسير المراغي، ١٢١/٦-١٢٢، التفسير القرآني للقرآن، ١١٠١/٣.

- حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك.

- حرمة تحريف الكلام وتشويهه للإفساد بين الناس (١).

المطلب الثاني

التوراة هدى ونور

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد البيان الساطع الواضح لصفات اليهود القبيحة ذكر تعالى ما أنزله في التوراة من الأحكام العادلة التي هي حكم الله الذي ارتضاه لعباده في كل زمان ومكان جاءت هذه الآيات تبين منزلة التوراة وتمدح الحاكمين بها والمحافظين عليها الذين أمنهم الله عليها (٢).

ثانياً: سبب النزول:

نزلت آية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ...﴾ في اليهود الذين بدلوا حكم التوراة في الرجم فجعلوا مكانه الجلد والتسخيم.

روى مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه رجم يهودياً ويهودية ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿مَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، قال: نزلت كلها في الكفار (٣).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

هدى: ما يهدي الناس إلى طريق السعادة، ويقال: هدى فلان هدي فلان سار سيره وفلاناً أرشده ودله، وفي التنزيل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] (٤).

(١) انظر: أيسر التفاسير، ٦٣٤/١.

(٢) انظر: تفسير المراعي، ١٢٣/٦، التفسير الواضح، ٥١٨/١.

(٣) انظر: أسباب النزول، للواحدي، ح (٣٩٢)، ١٩٩/١.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، ٩٧٨/٢.

نور: العقائد السماوية والمواعظ الحكيمة التي تنير للإنسان حياته.

الريانيون: جمع ريانى وهم العلماء والحكماء والبصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم بالقيام بمصالحهم^(١).

الأخبار: جمع خبر هو العالم من أهل الكتاب وبخاصة اليهود وسمي بذلك لتحرير الكلام وتحسينه، وأطلق خبر الأمة في الإسلام على ابن عباس رضي الله عنهما^(٢).

البلاغة:

(إنا أنزلنا): الجمع للتعظيم، فيها تعظيم للتوراة وتحقير لمن حرف التوراة، وفيها تعريض بأخبار اليهود وعلمائهم^(٣).

(يحكم بها النبيون): المراد بالنبيين أنبياء بني إسرائيل موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده، والمراد محمد ﷺ وجاء بصيغة الجمع تعظيماً له^(٤).

(الذين أسلموا): صفة مادحة للنبيين وفيه إرغام لليهود المعاصرين له ﷺ بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ^(٥).

(فلا تخشوا الناس): خطاب لعلماء اليهود بطريق الالتفات عن الغيبة (فلا يخشوا) إلى الخطاب.

(ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً): الاشتراء بمعنى استبدال وإضافة الآيات إلى الله للتعظيم^(٦).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله ﷻ عجب حال اليهود من تركهم حكم التوراة وهم يعلمونه وطلبهم من النبي ﷺ الحكم بينهم، ورضاهم به إذا وافق أهواءهم، وتركهم له إذا جاء على غير ما يريدون.

بين المولى أنه أنزل التوراة على موسى ﷺ مشتملة على ما يهدي الناس إلى الحق من أحكام وتكاليف، وعلى ما يضيء لهم حياتهم من عقائد ومواعظ وأخلاق فاضلة وهذه التوراة يحكم بها بين اليهود أنبياءهم الذين أخلصوا دينهم لله تعالى، وأخلصوا له العبادة والطاعة، ويحكم بها

(١) انظر: جامع البيان، ١٠/٣٤١.

(٢) انظر: التفسير الواضح، ١/٥١٨.

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ٣/١١٠٣.

(٤) انظر: صفوة التفاسير، ص ٣١٨.

(٥) انظر: فتح القدير، ٢/٤٩.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ٦/٢١٠، التفسير المنير، ٦/٢٠٣، صفوة التفاسير، ١/٣١٨.

أيضاً العلماء والحكماء السالكون طريق الأنبياء والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل، إذ قد كانوا شهداء على هذا الكتاب الذي أنزله الله بأنه حق وكانوا رقباء على تنفيذ حدوده وتطبيق أحكامه، حتى لا يُهمل شيء منها.

وإذا كان الله تعالى أنزل التوراة لتنفيذ أحكامها وتطبيق تعاليمها فمن الواجب عليكم أيها اليهود أن تقتدوا بأنبيائكم وصلحائكم في ذلك، وأن تستجيبوا للحق الذي جاء به محمد ﷺ وأن تجعلوا خشيتكم مني وحدي، لا من أحد من الناس، فأنا الذي بيدي نفع العباد وأحذرهم وإياكم أن تستبدلوا بآياتي التي اشتملت عليها التوراة أحكاماً أخرى، تغايرها وتخالفها لكي تأخذوا في مقابل هذه الآيات ثمناً قليلاً من حظوظ الدنيا وشهواتها كالمال والجاه ونحو ذلك، فإن من فعل ذلك ولم يحكم بما أنزل الله رغبة منه عن حكم الله تعالى أو استهانة به فهو من الكافرين؛ لأنه كتم الحق الذي كان من الواجب عليه إظهاره والعمل به.

وهذا الحكم الأخير (ومن لم يحكم بما أنزل الله) عام في كل من انطبق عليه هذا الوصف في جميع الأزمان وليس خاصاً باليهود^(١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- أنزل الله تعالى الكتب نوراً وهداية لتتير للناس حياتهم وتهديم سبلهم فالتوراة الأصلية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها أنبياء بني إسرائيل.
- وجوب خشية الله بأداء ما أوجب وترك ما حرم.
- النهي عن استبدال آيات الله تعالى بثمن بخس هو عرض من أعراض الدنيا الفانية.
- النعي على بني إسرائيل لإهمالهم لأحكام الله تعالى وتهافتهم على ما يتفق مع أهوائهم.
- كفر من جحد أحكام الله فعطلها أو تلاعب بها فحكم بالبعض دون البعض.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، جمهور أهل السنة على أن الكافر من أنكر بقلبه وجحد بلسانه أما من عرف بقلبه وأقر بلسانه كونه حكم الله إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ولكنه تارك له أي أن من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق.

(١) انظر: تفسير المراغي، ١٢٤/٦، التفسير القرآني للقرآن، ١١٠٤/٣، الواضح، ٥١٨/١، أيسر التفسير،

٦٣٥/١، التفسير الميسر، ١١٥/١، التفسير المنهجي، ص ٦١.

المطلب الثالث

بعض أحكام التوراة وموقف اليهود منها

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

تحدثت الآيات السابقة أن اليهود غيروا حكم الزاني المحصن، وجعلوا دية اليهودي النضري أكثر من دية القرطي ومنعوا أن يقتل به أي يقتص منه مخالفين حكم التوراة وحكم رسول الله ﷺ حين سأله وهذه الآية تحدثت عن مجموعة من الأحكام قد غيرها مثل أحكام القصاص فنزلت الآية لتشريع القصاص (١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

كتبنا: فرضنا عليهم وأوحينا (٢).

النفس بالنفس: أي النفس تقتل بالنفس، العين بالعين: أي العين تفتقأ بالعين، والأنف بالأنف: أي الأنف يجده بالأنف، والأذن بالأذن: أي الأذن تقطع بالأذن، والسن بالسن: أي السن يقلع بالسن، والجروح قصاص: فيقتص لكل عضو بمثله إذا أمكن (٣).

القصاص: المساواة والتعامل وهو أن يوقع على الجاني مثل ماضي النفس بالنفس والجرح بالجرح (٤).

القراءات:

(العين بالعين) ثلاث قراءات:

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٦٨/١٢، التفسير المنير، ٢٠٧/٦، أيسر التفاسير، ٦٣٥/١، التفسير الوسيط، لطنطاوي، ١٧٠/٤.

(٢) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ١٧٠/٤.

(٣) انظر: أوضح التفاسير، ١٣٤/١.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، ٧٤٠/٢.

- ١- النصب في جميعها على العطف على اسم أنْ وهي قراءة نافع وعاصم والأعمش وحمزة.
- ٢- النصب في الكل إلا في الجروح، فبالرفع على أنها كلام مستأنف، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وأبي جعفر.
- ٣- الرفع في الجميع عطفاً على المحل، وهي قراءة الكسائي وأبي عبيد، لأن النفس قبل دخول الحرف الناصب عليها كانت مرفوعة على الابتداء، قال ابن المنذر: ومن قرأ بالرفع جعل ذلك ابتداء كلام يتضمن بيان الحكم للمسلمين^(١).

البلاغة:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ في هذه الآية قال الظالمون وسابقاً قال الكافرون وذلك لسببين:

- ١- أن الكفر والظلم بمعنى واحد فهو تأكيد لما سبقه.
 - ٢- أن الظلم أعم من الكفر والمراد به الجور.
- فالكفر قد تطور إلى ظلم وهذا الظلم ليس على نفسه فقط بل على غيره أيضاً، وفيه زيادة تشنيع عليهم في كفرهم لأنهم كافرون ظالمون^(٢).
- يقول الرازي: "في الأولى ذكر الله ما يتعلق بتقصيره في حق الخالق وفي هذه الآية ذكر ما يتعلق بالتقصير في حق نفسه"^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

هذه الأحكام من جملة الأحكام التي أنزلها الله ﷻ في التوراة ، فالله أوجب عليهم أن النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والسن بالسن وهكذا في بقية الأعضاء بالقياس وكذا الجروح على تفصيل فيها وبيان لحددها بالضبط فيها القصاص وهذا الحكم في القتل أو التعدي العمد، أما الخطأ ففيه الدية، فمن تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه ومن يعرض عما شرعه الله من القصاص والعدل والتساوي بين الأفراد فهو من الظالمين الذين يغمطون الناس حقوقهم المشروعة^(٤).

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة، ٢٢٣/٣، الكشف والبيان، ٧١/٤، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ١٥٣/١، فتح القدير، ١٧٨/٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢١٧/٦.

(٣) مفاتيح الغيب، ٣٦٩/١٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ٢٣٣/١، زهرة التفاسير، ٢٢٠٥/٤، التفسير الوسيط، للزحيلي، ٤٦٥/١.

رابعاً: مقاصد و أهداف النص:

- وجوب القَوْد في النفس والقصاص في الجراحات: الله ﷻ شرع القصاص في النفوس والأبدان وشرعه كذلك في الأعضاء والأطراف عند تمكن المماتلة، ومن الظلم الاعتداء في القصاص بأن يقتل بالواحد اثنان أو يقتل غير القاتل أو يفتأ بالعين عينين مثلاً، وهو كفر مع الاستحلال وظلم في نفس الوقت.

- الترغيب في العفو والحض عليه: نجد أن الله ﷻ رغب في هذه الآية في العفو وحض عليه وأجزل المثوبة لمن يقوم به فقد قال تعالى ﴿ مَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ أي من تصدق بالقصاص فهو كفارة للمتصدق المجروح^(١) يكفر الله عنه بها ذنوبه لقوله ﷻ: (ما من رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به)^(٢)، وفي القرآن نصوص كثيرة في الحض على العفو ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا... ﴾ [الشورى: ٤٠]، [آل عمران: ١٣٤].

- حرص الإسلام على الأمن المجتمعي: حيث أن التصديق بالقصاص أو العفو يسقط حق المجني عليه، ولكن لا يسقط حق المجتمع من ضرورة العمل على منع ارتكاب الجرائم، فلولي الأمر أن يحكم بتعزيره إذا عفا ولي الدم والتعزير عقوبة غير مقدرة يراها ولي الأمر رادعة.

- شرع من قبلنا هو شرع لنا إذا لم ينسخ: قال ابن كثير: "وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا حُكي مقررًا ولم ينسخ، كما هو المشهور عند الجمهور، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الاسفراييني عن نص الشافعي، وأكثر الأصحاب لهذه الآية، حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة"^(٣).

- بيان بعض الأحكام: استدل جمهور الفقهاء بعموم هذه الآية على أن الرجل يقتل بالمرأة، ويؤبد ذلك ما رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم: أن الرجل يقتل بالمرأة، وفي رواية أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها بل تجب ديبتها، قال الألويسي: "واستدل بعموم أن النفس بالنفس من قال: يقتل المسلم بالكافر، والحر بالعبد، والرجل بالمرأة،

(١) رجح ابن جرير عودة الضمير في (كفارة له) إلى العافي المتصدق وهو المجني عليه، أو ولي دمه، انظر: جامع البيان، ١٠/٣٦٩.

(٢) مسند أحمد، باب حديث عبادة بن الصامت، ح (٢٢٧٠١)، ٣٧/٣٧٤، النسائي في السنن الكبرى، ح (١١٠٨١)، ١٠/٨٣، حديث صحيح.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣/١٢١.

ومن خالف استدل بقوله تعالى: ﴿الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: ١٧٨] ، ويقوله ﷺ: (لا يقتل مؤمن بكافر) ^(١)، وأجاب بعض أصحابنا بأن النص تخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه، والمراد بما روي في الحديث الكافر الحربي، وقد روي أنه ﷺ قتل مسلماً بذمي" ^(٢).

- الإسلام دين العدل والرحمة: من هذه الآية وغيرها نرى أن الإسلام قد جمع فيما شرع من عقوبات بين العدل والرحمة فقد شرع القصاص زجراً للمعتدي، وإشعاراً له بأن سوط العقاب مسلط عليه إذا ما تجاوز حده، جبراً لخاطر المعتدى عليه، وتمكيناً له من أخذ حقه ممن اعتدى عليه، ومع هذا التمكين التام للمجني عليه من الجاني فقد رغب الإسلام المجني عليه في العفو عن الجاني حتى يشيع المحبة والمودة بين أفراد الأمة، ووعده على ذلك بتكفير خطاياهم وارتفاع درجاتهم عند الله تعالى ^(٣).

(١) سنن النسائي، كتاب البيوع، باب سقوط القود من المسلم الكافر، ح (٤٧٤٦)، ٢/٢٤.

(٢) انظر: روح المعاني، ٦/٣١٦.

(٣) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ٤/١٧٣.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (٤٦ - ٥٠) من سورة المائدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رسالة عيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: القرآن أفضل الكتب السماوية والمهيمن عليها.

المطلب الثالث: السعادة تكمن في العمل بما أنزل الله عليك.

المطلب الأول

رسالة عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦-٤٧].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين الله ﷻ قبائح اليهود وبيان منزلة كتابهم التوراة وما اشتملت عليه من هدايات وتشريعات لم يلتزموا بها وتعطيلها، أتبع ذلك بالحديث عن النصارى وبيان منزلة كتابهم الإنجيل وما اشتمل عليه من مواظب وأحكام^(١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

(وقفينا على آثارهم): التقفية الإلتباع ويقال قفا فلان أثر فلان إذا تبعه^(٢)، أي بعثنا من بعدهم وأتبعنا^(٣).

(على آثارهم): أنبياء بني إسرائيل^(٤).

(مصدقاً لما بين يديه): أي مقررأً مثبتاً لأحكام التوراة لم ينكرها أو يتجاهلها إلا ما نسخه الله تعالى منها بالإنجيل^(٥).

الإنجيل: اسم كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام وهو اسم عبراني أو سرياني وقيل هو عربي^(٦).

الفاسق: هو الفاجر^(٧)، وأصل الفسق: الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً، والفويسقة: الفارة وهو تصغير فاسقة لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها^(٨)، أي: هو الخارج

(١) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ١٧٤/٤.

(٢) المعجم الوسيط، ٧٥٢/٢.

(٣) انظر: روح المعاني، ٣١٨/٣، التحرير والتنوير، ٢١٨/٦.

(٤) انظر: أوضح التفاسير، ١٣٥/١.

(٥) انظر: جامع البيان، ٣٧٣/١٠.

(٦) انظر: لسان العرب، ٦٤٨/١١.

(٧) المعجم الوسيط، ٦٧٤/٢.

(٨) لسان العرب، ٣٠٨/١٠.

عن تعاليم الدين والمائل إلى الباطل التارك للحق^(١).

البلاغة:

قوله: (على آثارهم): تأكيد لمدلول فعل قفينا وإفادة سرعة التقفية^(٢).

(مصدقاً لما بين يديه): تصديق عيسى التوراة أمره بإحياء أحكامها، وهو تصديق إما: حقيقي للتأكيد على هذه الأحكام، أو مجازي الإنجيل مصدق لما سبقه من الكتب.

وتكرار جملة (ومصدقاً لما بين يديه) لمعنيين الأول: أن المسيح يصدق التوراة، والثاني: أن الإنجيل يصدق التوراة^(٣).

ويقول الصابوني: "التكرير لزيادة التقرير"^(٤).

قوله تعالى: (وموعظة للمتقين) قال: للمتقين ولم يقل للمسلمين؛ لأن المتقين أولى الناس بالاستفادة من المواعظ^(٥).

قال ﷺ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ، وقال سابقاً: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، فالظالمون هم اليهود، والفاسقون هم النصارى، والفسق أخف من الظلم، فخطاب النصارى أخف من خطاب اليهود^(٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله ﷻ أحكام التوراة شرع في بيان أحكام الإنجيل وما اشتمل عليه من مواعظ وأحكام فقال ﷺ: وأتبعنا أولئك الذين أسلموا وجوههم لله تعالى، وأخلصوا له العبادة، والذين كانوا يحكمون بالتوراة كموسى وهارون عليهما السلام وغيرهم ممن جاء بعدهم بعيسى ابن مريم، وجعلناه متبعاً طريقهم وناهجاً نهجهم في الخضوع والطاعة والإخلاص لله تعالى، ومصدقاً للتوراة التي سبقته، وأنزلنا عليه الإنجيل فيه هداية إلى الحق وبيان للأحكام وفيه الهداية والموعظة لمن سلك سبيل المتقين من المؤمنين به، وقد وصف الله تعالى الإنجيل في هذه الآية

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٢٧/٣، التحرير والتنوير، ٢٢٠/٦.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ١٧٤/٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢١٩/٦، التفسير المنير، ٢١٠/٦.

(٤) صفة التفاسير، ٣١٩/١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٧٠/١٢، فتح البيان في مقاصد القرآن، ٤٣٩/٣.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٧١/١٢، التحرير والتنوير، ٢٢٠/٦.

بـخمس صفات هي:

١- فيه هدى .

٢- فيه نور .

٣- مصدقاً لما بين يديه من التوراة .

٤- كونه هدى .

٥- موعظة للمتقين .

ثم إن الله تعالى أمر باتباع عيسى عليه السلام بالحكم بما جاء في الإنجيل فقال لأولئك الذين آمنوا بنبوة عيسى عليه السلام ووجدوا قبل بعثة محمد عليه السلام على هؤلاء أن يحكموا فيما بينهم بمقتضى أحكام الإنجيل من دون تحريف أو تبديل، أما الذين وجدوا منهم بعد بعثة النبي عليه السلام فمن الواجب عليهم أن يصدقوا رسول الله عليه السلام ويتبعوا شريعته، لأن فعلهم هذا يعني تصديقهم بالإنجيل واتباعاً منهم لنبينهم عيسى عليه السلام، فإن شريعة الإسلام قد نسخت جميع الشرائع التي قبلها، ومن لم يفعل ذلك منهم فهم المتمردون الخارجون عن جادة الحق وعن السنن القويم والصرط المستقيم ^(١).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- النصرى إخوة اليهود في الضلال: اليهود والنصارى يقدسون ظاهرياً التوراة والإنجيل ولا يعملون بما فيها من أحكام، لهذا شبه الله تعالى اليهود بالحمير فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

- صفات من يحكم بغير ما أنزل الله: أن الذي يحكم بغير ما أنزل الله وصفوا بثلاث أوصاف: أنهم ظالمون وكافرون وفاسقون فجمعوا الشر من جميع أطرافه.

- مشروعية القصاص في الإنجيل وإلزام أهله بتطبيقه وتقرير فسقهم إن عطلوا تلك الأحكام وهم مؤمنون بها.

(١) انظر: فتح القدير، ٥٥/٢، التفسير القرآني للقرآن، ١١٠٧/٣، التفسير المنير، ٢١٠/٦، التفسير الوسيط، للزحيلي، ١٧٤/٤.

المطلب الثاني

القرآن أفضل الكتب السماوية والمهيمن عليها

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها:

بعد أن تحدث ﷺ عن التوراة والإنجيل وما فيهما من الهدى والنور والثناء عليهما والأمر باتباع تعاليمها وصل إلى الرسالة الأخيرة وإلى الشريعة الأخيرة أنها الرسالة التي جاءت تعرض الإسلام في صورته النهائية الأخيرة لتكون شريعته هي شريعة الناس جميعاً، إنه القرآن الكريم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ الفارق بين الهدى والضلال الكتاب المعجز الذي حوى خلاصة ما سبقه من الكتب السماوية (١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

وأنزلنا إليك الكتاب: القرآن الكريم أفضل الكتب وأجلها (٢).

مهيماً عليه: رقيباً على ما سبقه من الكتب وشاهداً وأميناً وحاكماً عليها ويأتي بمعنى العالي والمرتفع على الشيء (٣).

شريعة ومنهاجاً: ديناً وطريقاً واضحاً (٤).

فاستبقوا الخيرات: تسابقوا في فعل الطاعات (٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٩٠١/٢، أيسر التفاسير، ١٣٨/٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٣٤.

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٣٣/٣٠، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/٦.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٢٦٢/٣، صفوة التفاسير، ص ٣١٧.

(٥) انظر: التفسير الواضح، ص ٥٢١.

البلاغة:

(أنزلنا إليك الكتاب): المقصود هو القرآن و(ال) للعهد.

(مصدقاً لما بين يديه من الكتاب): المقصود بالكتاب يشمل كل الكتب السابقة كالطورا والإنجيل و(ال) للجنس^(١).

(فاستبقوا الخيرات): فيه استعارة حيث شبههم بالمتسابقين على ظهور الخيل لأن كل واحد ينافس صاحبه في السبق لبلوغ الغاية المقصودة^(٢).

القراءات:

قرأ الجمهور (مُهَيِّمًا) بكسر الميم والمعنى أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ، وناسخاً لما خالفه منها ورقبياً عليها وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع، وغالباً لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك^(٣).

وقرأ مجاهد وابن محيصن (مهيماً عليه) بفتح الميم والمعنى هُوَمَنْ عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والذي هيمن عليه الله ﷻ أو الحفاظ في كل بلد، ولو حُرِفَ حَرْفٌ منه أو حَرَكَةٌ أو سُكُونٌ لتنبه عليه كل أحد ولاشمازوا رادين ومنكرين^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لما ذكر تعالى إنزاله التورا وأن فيها الهدى والنور وذكر الإنجيل وأنه أيضاً فيه الهدى والنور ناسب ذكر القرآن الكريم الذي أنزله سبحانه على رسوله محمد ﷺ فقال: وأنزلنا إليك أيها النبي الكتاب الكامل وهو القرآن الكريم، ملازماً الحق في كل أحكامه وأنبأه موافقاً ومصدقاً لما سبقه من كتبنا، وشاهداً عليها بالصحة ورقبياً عليها بسبب حفظه من التغيير، فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزل الله تعالى عليك في القرآن ولا تتبع في حكمك شهواتهم ورغباتهم فتتحرف عما جاءك من الحق، فلكل أمة منكم أيها الناس جعلنا منهاجاً لبيان الحق وطريقاً واضحاً في الدين يمشي عليه.

(١) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ١٧٩/٤.

(٢) انظر: التفسير المنير، ٢١٤/٦.

(٣) انظر: فتح القدير، ٥٥/٢.

(٤) انظر: الكشاف، ٦٤٠/١.

ولو شاء الله تعالى لجعلكم جماعة واحدة ذات مشارب متفقة لا تختلف مناهج إرشادهم في جميع العصور، وإنما جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع وليتبين المطيع من العاصي، فانتهزوا أيها الناس الفرص وسارعوا إلى عمل الخيرات، فإن رجوعكم جميعاً سيكون إلى الله تعالى وحده، فيخبركم بحقيقة ما كنتم تختلفون فيه ويجازي كلاً منكم بعمله^(١).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- **بيان الحكمة من اختلاف الشرائع:** أنزل الله ﷻ على الناس شرائع مختلفة باختلاف الأوقات والرسل والسبب في ذلك الابتلاء والامتحان لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص، فالشرائع مختلفة في الأحكام متفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: **(نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد)** ^(٢)، ولكن هل يعملون بذلك ويذعنون له أو يتركونه ويخالفون ما اقتضته مشيئة الله وحكمته، ويميلون إلى الهوى ويشترون الضلالة بالهدى^(٣).

- **القرآن الكريم عمدة الأحكام:** يجب الحكم وفي كل القضايا بالكتاب والسنة فهما عمدة الأحكام، وكذلك ضبط الكتب السابقة على أحكامه فما وافقه فيها أخذ به، وما خالفه اعتبر محرراً ومبدلاً ليس من كتاب الله ولا من شريعته، لذلك لا يجوز تحكيم أية شريعة أو قانون غير الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

- **الندب إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها:** على الإنسان العاقل أن يسارع إلى فعل الخيرات قبل أن يدركه الموت والعمل بشرع الله واتباعه وطاعته والجد في التسابق في الأعمال الصالحات لخيركم وصلاحكم وإنقاذكم وإحراز الفضل والرضا الإلهي لأنها سمة الأتقياء الصالحين.

- **بيان منزلة القرآن الكريم:** جعل الله ﷻ القرآن الكريم المهيم على غيره من الكتب فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في

(١) انظر: النكت والعيون، ٤٤/٢، تفسير المراغي، ١٢٩/٦، زهرة التفاسير، ٢٢٢٥-٢٢٢٦، التفسير الواضح، ٥٢٢/١، أيسر التفاسير، ٦٣٩/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مكاناً شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، ح (٣٤٤٣)، ١٦٧/٤.

(٣) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ٢٥٠/١-٢٥١.

غيره، فلماذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل ﷺ بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. ويقول الغزالي: "وبالقرآن اتضح سلوك المنهج القويم والصرط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور، وبه النجاة من الغرور، ومنه شفاء لما في الصدور، ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والعروة الوثقى، والمعصم الأوفى" (١).

المطلب الثالث

السعادة تكمن في العمل بما أنزل الله ﷻ

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِنَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها:

بعد أن بين الله تعالى مكانة التوراة والإنجيل تحدثت الآيات عن القرآن وأكدت العمل بهذا الكتاب والتزام أحكامه والتحذير من أهواء المعارضين وشبههم التي يريدون بها التحلل من بعض هذا الشرع وتوبيخهم (٢).

ثانياً: سبب نزول الآية ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩]:

أخرج ابن جرير والواحي عن ابن عباس: قال كعب بن أسد وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس من اليهود: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتته عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد إنك عرفت أنا أبحار يهود وأشرفهم وسادتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قوم خصومة، فنخاصمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِنَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤٤٧/١.

(٢) انظر: فتح القدير، ٥٦/٢، التفسير الواضح، ٥٢٢/١، التفسير الموضوعي، ص ٣٣٥.

لَفَاسِقُونَ ﴿ [المائدة: ٤٩] ^(١).

سبب نزول آية ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]:

يوجد فيه كما قال الزمخشري: "وجهان:

أحدهما: أن بني قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل في القتلى وروى أن رسول الله ﷺ قال لهم: القتلى سواء فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك، فنزلت.

والثاني: أن يكون تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبيغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى، وعن الحسن: هو عام في كل من يبغي غير حكم الله، والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان، وسئل طاووس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض، فقرأ هذه الآية ^(٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

يفتنوك: الفتنة بمعنى الصد ^(٣)، ويقال: فتنه المال وفتنته المرأة ولهته، وفلاناً عن الشيء لواه وصرفه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَمْتِنُوكَ ﴾ ^(٤)، والمعنى: يفتنوك ويصدوك ويميلوا بك عن الحق إلى الباطل بكيدهم.

لفاسقون: الفاسق: الخارج عن الدين ^(٥)، والفاسقون: المتمردون في الكفر معتدون فيه ^(٦).

البلاغة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ أن: تفسيرية، لقول ابن عاشور: "الحمل على التفسيرية أولى وأعرب" ^(٧)، عطف على ما قبله، عطف على الكتاب، أي أنزلنا عليك الكتاب

(١) انظر: جامع البيان، ٣٩٣/١٠، أسباب النزول، للواحي، ح (٣٩٣)، ٢٠٠/١، تفسير القرآن العظيم، ١٣١/٣.

(٢) الكشف، للزمخشري، ٦٤١/١.

(٣) انظر: شرح طيبة النشر، ٢٢٠/١، الهادي شرح طيبة النشر، ١٧٣/٢.

(٤) المعجم الوسيط، ٦٧٣ / ٢ ، انظر ص ٤١ من هذا البحث .

(٥) لسان العرب، ٣٠٨/١٠ ، انظر ص ٥٣ من هذا البحث .

(٦) انظر: الكشف، ٦٤١/١.

(٧) التحرير والتنوير، ٢٢٦/٦.

والحكم بما فيه، وقد استدل بعضهم بهذا على نسخ التخيير المتقدم في قوله: (أو اعرض عنهم)^(١).
(ولا تتبع أهواءهم): التكرار للتأكيد.

ويقول أبو الطيب: ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وإنما نزلت في حكمين مختلفين:
أما الآية الأولى فنزلت في شأن رجم المحصن، وفي هذه الآية في شأن الدماء والديات^(٢).

(أفحكم الجاهلية يبغون): استفهام إنكاري للتوبيخ^(٣).

(ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون): الاستفهام إنكاري تعجبي والخطاب للمسلمين وهو
خطاب في معنى النفي أي لا أحد أحسن من الله حكماً^(٤).

القراءات:

قرأ الجمهور (يبغون) بياء الغائب يبغون والضمير عائد إلى (من) من قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ [المائدة: ٤٧].

وقرأ ابن عامر بقاء الخطاب (تبغون) على أنه خطاب لليهود على طريقة الالتفات^(٥).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله تعالى مكانة التوراة والإنجيل، تتحدث هذه الآيات عن القرآن الكريم، وتحذر
من موالاتهم واتباع أهوائهم، لقد أنزلنا إليك الكتاب الكامل يا محمد ﷺ فيه حكم الله تعالى وأمرناك
بأن تحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله تعالى، ولا تتبع أهواء ورغبات الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً
من اليهود والنصارى، واحذر أن يصرفوك عن بعض ما أنزل الله تعالى إليك، فإن أعرضوا عن
حكم الله تعالى وأرادوا غيره، فاعلم أن الله تعالى إنما يريد أن يصيبهم بعذاب من عنده بسبب ذنوبهم
التي ارتكبوها، ومنها مخالفة أحكامه وشريعته، ثم يجازيهم على كل أعمالهم في الآخرة، فكثير من
الناس متمردون على أحكام الشريعة خارجون عن منهجها وتبين الآية الكريمة أن الحكم إنما هو لله
تعالى، وهو ما جاء في كتابه الأخير وهو القرآن الكريم.

(١) انظر: فتح القدير، ٥٦/٢، فتح البيان، ٤٤٦/٣.

(٢) فتح البيان، ٤٤٦/٣.

(٣) انظر: فتح القدير، ٥٦/٢.

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٣٧/٣، فتح القدير، ٥٦/٢.

(٥) انظر: شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري، ٢٢٠/١، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر،

١٧٣/٢.

وفيها كذلك تبيّن لأهل الكتاب من محاولة إغراء النبي ﷺ باتباع أهوائهم وشهواتهم فالرسول ﷺ لا يتبع إلا ما أوحاه إليه ربه.

أريد هؤلاء الخارجون عن أمر الله تعالى ونهيه، والرافضون لحكمه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التي لا عدل فيها، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة؟ وهذه هي طريقة أهل الجاهلية، وهل هناك من الأحكام ما هو أحسن من أحكام الله تعالى لقوم يوقنون بالشرع ويدعون للحق؟ وهؤلاء فقط الذين يدركون حسن أحكام الله تعالى وما فيها من صدق وعدل (١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- أكثر المصائب في الدنيا ناتجة عن الذنوب: بين الله ﷻ أن الإعراض عن حكم النبي ﷺ سبب للمصائب في الدنيا؛ لأن الله تعالى قال في اليهود: (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي يعذبهم بالجلاء والقتل وفرض الجزية، وإنما قال ببعض لأن المجازاة ببعض كانت كافية في التدمير عليهم.

- تسليّة الرسول ﷺ: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ فيه تسليّة للرسول ﷺ عما لقيه من مخالفه ولاسيما اليهود أي وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعتنا ومتمردون على أحكامنا ومتبعون لخطوات الشيطان الذي استحوذ عليهم وإن كان الأمر كذلك فلا تبتئس ولا تبال بهم يا محمد واعلم أن الله يريد أن يعذبهم في الدنيا قبل الآخرة على ذنوبهم، فسلاه بذلك وهون عليه ما قد يجده من ألم تمرد اليهود والمنافقين وإعراضهم عن الحق الذي جاء به ودعاهم إليه.

- توبيخ اليهود لفعلهم أفعال الجاهلية: كان العرب في الجاهلية يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع وكان اليهود يفعلون مثلهم، فيقيمون الحدود على الضعفاء الفقراء ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء، لذلك أنكر الله عليهم بقوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

- التحذير من اتباع أهواء الناس خشية الإضلال عن الحق.

- حكم الشريعة الإسلامية أحسن الأحكام وأكثرها عدلاً ورحمةً ومن رغب عن حكم الله تعالى فهو من الفاسقين.

(١) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٣٥/٤، التفسير الواضح، ٥٢٣/١، تفسير الشعراوي، ٣١٩٢/٥، التفسير المنير، ٢١٨/٦، التفسير الوسيط، للزحيلي، ٤٦٨/١.

- السعادة تكمن في العمل بما أنزل الله: بينت الآيات أن السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة هي العمل بما أنزل الله وطاعته واتباع أحكامه لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] ، ولكنهم فسقوا وظلموا وكفروا ومصيرهم إلى النار، فالإسلام كل لا يتجزأ، ولا أنصاف حلول مع الجاهلية.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث

من الحزب الثاني عشر الآيات (٥١-٦٦)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٦) من سورة المائدة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٧-٦٦) من سورة المائدة.

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٦) من سورة المائدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من موالات اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: عقوبة الردة وحكم موالات الكافرين.

المطلب الثالث: صفات الذين يحبهم الله ﷻ ويحبونه.

المطلب الأول

التحذير من موالاتة اليهود والنصارى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٣].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما حكى تعالى عن أهل الكتاب أنهم تركوا العمل بالتوراة والإنجيل وحكم عليهم بالكفر والظلم والفسوق حذر المسلمين في هذه الآيات من موالاتة اليهود والنصارى، فالقرآن الكريم أوجب التعاون بين أبناء أمة الإيمان وحدهم، والاعتماد على أنفسهم وإشاعة الثقة والمناصرة فيما بينهم، وتكوين أمة واحدة قوية متعاضدة في السراء والضراء، لها شخصيتها المستقلة وكيانها الذاتي المتين لأن تكامل الأمة يقتضي الاحتفاظ بأسرارها، ومنع تسريبها إلى أعدائها، وبناء وجودها بناء حصيناً يمنع اختراقه وتمكين الآخرين من إضعافه (١).

ثانياً: سبب النزول:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمة روايات منها:

ما رواه السدي من أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد واقعة أحد: أما أنا فإنني ذاهب إلى ذلك اليهودي فأواليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث. وقال الآخر: وأما أنا فإنني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فأواليه وأنتصر معه فأنزل تعالى الآيات.

وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر (٢)، حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة فسألوه: ماذا هو صانع بنا؟ فأشار بيده إلى حلقه، أي: إنه الذبح.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٧٥/١٢، التفسير الوسيط، الزحيلي، ٤٦٩/١، صفوة التفاسير، ٣٢٢/١.

(٢) أبو لبابة: هو ابن عبد المنذر الأوسي الأنصاري، أحد نقباء الأنصار، شهد بيعة العقبة، واستعمله النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر، وكانت راية بني عمرو معه يوم الفتح، توفي في خلافة علي، ويقال: بعد سنة ٥٠هـ، انظر: أسد الغابة، ٢٨٤/٥، الإصابة، ١٦٨/٤، تهذيب التهذيب، ٥٧٨/٤.

وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، فقد أخرج ابن جرير عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة ابن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن أبي: يا أبا الحباب، ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه؟ قال: قد قبلت.

فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (١).

قال أبو جعفر: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم.

وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان، ويجوز أن تكون الآية نزلت في شأن الثلاثة، ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر تثبت بمثله حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل.

غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهودياً أو نصارى خوفاً على نفسه من دوائر الدهر لأن الآية التي بعده تدل على ذلك وذلك قوله: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

أولياء: جمع ولي، وهو كل من كلف بأمر أو قام به (٣)، أي نصراء وحلفاء توالونهم وتوادونهم (٤).

(١) انظر: جامع البيان، ٣٩٦/١٠، البحر المحيط، ٢٩١/٤٢، تفسير القرآن العظيم، ١٣٣/٣، التفسير الوسيط،

لطنطاوي، ١٨٩/٤، أسباب النزول، للواحي، ح (٣٩٦)، ٢٠١-٢٠٠.

(٢) جامع البيان، ٣٩٩/١٠.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٨٦٢/١.

(٤) انظر: التفسير المنير، ٢٢٣/١.

والمراد بالولاية هنا: مصافاة أعداء الإسلام والاستتصار بهم والتحالف معهم دون المسلمين^(١).
مرض: شك ونفاق، لقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] ، وقال: ﴿ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]^(٢).

تصيبنا دائرة: يدور علينا صروف الدهر ونوازله^(٣).

يسارعون فيهم: يسارعون في توليهم^(٤).

بالفتح: بالنصر لرسوله ﷺ^(٥).

قوله: (جهد أيمانهم): الجهد بالفتح: المبالغة والاجتهاد، أي بالغوا في اليمين^(٦)، أي مجتهدين في الحلف بأغلظ الإيمان وأوكدها^(٧).

قوله: (حبطت أعمالهم): حبط العمل: فسد وبطل، وذهب سدئ^(٨)، أي بطلت وذهبت بدون أجر^(٩).

الجوانب البلاغية:

قال ﷺ: (يسارعون فيهم) ولم يقل يسارعون إليهم، لأن يسارعون تدل على سرعة الموالاة وسرعة دخولهم في قلوبهم، أي أنه كان في الأصل منغمساً في محبتهم، حتى كأنهم مستقرون فيهم داخلون في عدادهم منذ البداية ولذلك فالمسارعة في ظرفيتهم، بمعنى يتهافنون عليهم^(١٠).

(في قلوبهم مرض) سمي النفاق مرضاً لأنه كفر يفسد الإيمان كما يفسد المرض الأجسام فالقاسم بينهم الفساد.

(١) انظر: الوسيط، لطنطاوي، ١٨٩/٤.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٣١١/٥.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن، للكواري، ٥٢/٥.

(٤) انظر: التفسير المنهجي، ٦٨/٣.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، ٢٦١/٩، القاموس المحيط، ٢٧٥/١، لسان العرب، ١٣٤/٣،

القاموس الفقهي، ٧١/١.

(٧) التفسير المنهجي، ٦٨/٣.

(٨) انظر: المحيط في اللغة، ٢٠٩/١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٩٩٨/١.

(٩) انظر: صفة التفاسير، ٣٢٢/١.

(١٠) انظر: فتح القدير، ٥٨/٢، تفسير الشعراوي، ٣١٩٨/٥.

الاستفهام في (أهلأ الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) مستعمل في التعجب من نفاقهم،
(فأصبحوا خاسرين) الفاء للتعقيب تدل على النتيجة (١).

القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأه الجمهور "يقول" بدون واو في أوله، لأنه استئناف
بياني جواب لسؤال من يسأل: ماذا يقول الذين آمنوا حينئذ،

أي إذا جاء الفتح أو أمر من قوة المسلمين ووهن اليهود يقول الذين آمنوا، وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي، وخلف، ويقول بالواو ويرفع يقول عطفاً على (فعسى الله)، وقرأ أبو عمرو
ويعقوب بالواو أيضاً، وينصب يقول عطفاً على (أن يأتي) (٢).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وردت قراءة أخرى "فيرى" اختلف في فاعل فيرى:

١- الفاعل اسم الموصول الذين "فيرى الذين".

٢- الفاعل على تقدير محذوف (الله) "فيرى الله الذين" الذين في محل نصب مفعول به.

٣- الفاعل على تقدير محذوف (القوم) "فيرى القوم الذين" الذين في محل نصب بدل فتري
الخطاب في الآية للرسول ﷺ، أو لكل من يصلح له الخطاب (٣).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يوجه الله تعالى في هذه الآيات نداءً وتحذيراً للمؤمنين يحذرهم فيه من موالات أعدائهم من
اليهود والنصارى ومناصرتهم ضد المؤمنين، فهم جميعاً يد واحدة على المؤمنين يتربصون بهم
الدوائر ولا يحبون الخير لهم.

ومن يتولهم منكم أيها المؤمنون فإن حكمه حكمهم، لأنه إما أن يكون والآهم لضعف في
دينه، وهذا يبغده من دين الإسلام ويقربه من أهل الكتاب، ومن يوالي أعداء المؤمنين وينصرهم أو
يستتصر بهم فهو ظالم بوضعه الولاية في غير موضعها، والله لا يهديه لخير ولا يرشده إلى حق.

ثم يخبر سبحانه عن المنافقين ضعاف الإيمان الذين يسارعون في موالات أعداد الإسلام
كلما سنحت لهم الفرصة يقولون في أنفسهم للناصحين لهم بالثبات على الحق اتركونا وشأننا فإننا
نخشى أن تنزل بنا مصيبة أو يكون النصر لمن نواليهم، فنحن نصادقهم لنتقي شرهم ليعينوننا في

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٦/٢٣١-٢٣٣.

(٢) انظر: الكنز في القراءات العشر، ٢/٤٥٩، شرح طيبة النشر، ١٠/٢٢٠، الهادي في شرح طيبة النشر،
٢/١٧٣، القراءات وأثرها في علوم العربية، ٢/١٢.

(٣) انظر: فتح القدير، ٢/٢٨.

الشدائد، فلا تغتموا أيها المؤمنون من هؤلاء المنافقين فلعل الله تعالى بفضلته وصدق وعده أن يأتي بالخير والنصر عليهم فيصبح المنافقون نادمين على ما أسروا في أنفسهم من بغض لكم ومصافاة لأعدائهم.

وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون متعجبين من المنافقين: هؤلاء الذين أقسموا وبالغوا في القسم بالله تعالى على أنهم معكم في الدين مؤمنون مثلكم؟ فقد كذبوا وبطلت أعمالهم، فصاروا خاسرين في الدنيا والآخرة^(١).

خامساً: مقاصد وأهداف:

- **النهى عن موالاته غير المؤمنين:** نبهت الآيات إلى خطر موالاته غير المؤمنين؛ لأنه من سلك سبيل غير المؤمنين ووالاهم فهو منهم وبذلك خسر الدنيا والآخرة ووصفه ﷺ بالظالم، كذلك النهى عن موالاته اليهود درءاً لخطرهم؛ لأنهم أهل الدسائس والمؤامرات والفتن في كل زمان ومكان فهم أمة ممزقة كذلك كانوا في صدر الإسلام حتى حسم أمرهم ﷺ جلاءً وقتلاً، نسأل الله أن نرى فيهم يوماً وتحرر بلادنا فلسطين كل فلسطين من دنسهم.

- **بيان خطر النفاق:** النفاق مرض خبيث يظهر أثره في المنافق وهو منتشر في الأمم الضعيفة الإيمان المستعبدة في كل زمان ومكان نرى الكثير من أبنائها الذين في قلوبهم ضعف إيمان وفي نفوسهم مرض يلجئون إلى الأعداء من الأجانب والكفرة لأنهم ليسوا مؤمنين بنصر الله.

- **رحمة الله ونصره للمؤمنين:** أكدت الآيات على قدرة الله على إحباط مخططات المنافقين وإذلال الأعداء ونصره أوليائه المؤمنين لأنه وليهم وناصرهم، فالله يعد المؤمنين وإذا وعد حقق وأنجز موعوده لأنه ﷺ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا بد من أن ينهزم أهل الشر والباطل وينتصر أهل الحق وجند الإيمان وذلك بعد الاستعداد الصحيح والتفافهم مع بعضهم لقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافَات: ١٧١-١٧٣].

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:** قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم في كل زمان ومكان وإن كان سبب وروده بعضاً منهم.

(١) انظر: بحر العلوم، ٣٩٧/١، لطائف الإشارات، ٤٣٠/١، فتح البيان، ٤٤٧/٣، تفسير المنار، ٣٥٠/٦، تفسير المراغي، ١٣٧/٦، التفسير القرآني للقرآن، ١١١٦/٣.

- بيان الإعجاز الغيبي: يقول العلماء إن الآية: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ والآية: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَآءًا...﴾ فيها إخبار بالغيب وقد صدق الله وعده وخذل الكافرين وفضح المنافقين والعاقبة للمتقين ولكن أتى لهم أن يعتبروا بمثل هذا؟ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَهِيَ لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] (١).

- قوله: (أقسموا بالله جهد أيمانهم): دليل أن من أعظم وسائل ترويج المنافقين لباطلهم ودعواهم هو الحلف، وكثرة الأيمان، فاحذروهم، وفيه وجوب حفظ الأيمان وعدم الحلف كذباً، وجعل الأيمان وقاية ودرعاً متشبهين بالمنافقين.

ملحوظة: أفادت الآيات وجوب قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين في أمور الدين، ولكن لا مانع من وجود علاقات بيننا وبينهم لمصالح دنيوية تقتضيها الضرورة مثل عمل تجاري أو عمراني أو مهني (٢).

المطلب الثاني

عقوبة الردة وحكم موالاة الكافرين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن حذر الله تعالى المؤمنين من موالاة اليهود والنصارى وجه نداءً آخر لعباده المؤمنين بين لهم فيه خطورة موالاة أعداء الله تعالى التي تؤدي إلى الردة والكفر، واستغناءه عن أهل الردة واعتماده على صادقي الإيمان الذين يحبهم ويؤثرون حبه على سائر ما يحبون من مال ومتاع وولد (٣).

ثانياً: سبب النزول:

نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي ﷺ وهم ثلاث:

(١) انظر: تفسير المراغي، ١٣٨/٦.

(٢) ع انظر: التفسير المنير، ٢٢٧/٦، حاشية أيسر التفاسير، للجزائري، ٦٤٣/١.

(٣) انظر: محاسن التأويل، ١٦٨/٤، تفسير المراغي، ١٣٩/٦.

١- بنو مدلج ورئيسهم الأسود العنسي الذي تنبأ باليمن وكان كاهناً وقتل على يد فيروز الديلمي.
٢- وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب الذي تنبأ في اليمامة وأرسل كتاباً إلى النبي ﷺ يذكر فيه أنه شريك له وأن الأرض قسمان فكتب له النبي ﷺ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، قاتله أبو بكر ﷺ، وقتله وحشي الذي قتل حمزة، وكان يقول: قتلت في جاهليتي خير الناس وفي إسلامي شر الناس.

٣- وبنو أسد بزعامة طليحة بن خويلد، ارتد أيام النبي ﷺ وقاتله أبو بكر في خلافته، ففر إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه (١).

وارتد سبع قبائل في عهد أبي بكر وهم:

- ١- غطفان بزعامة قرة بن سلمة.
- ٢- فزارة قوم عيينة بن حصن.
- ٣- بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل.
- ٤- بنو يربوع قوم مالك بن نويرة.
- ٥- بعض قبيلة بني تميم، بزعامة سجاح بنت المنذر، الكاهنة زوجة مسيلمة.
- ٦- كندة قوم الأشعث بن قيس.
- ٧- بنو بكر بن وائل الحطم بن زيد.

وارتد في عهد عمر جبلة بن الأيهم الغساني، الذي تنصر ولحق بالشام لأنه كان يطوف حول الكعبة، فوطئ إزاره رجل من فزارة فلطمه جبلة فهشم أنفه، فشكاه الفزاري إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ، فحكم إما بالعفو أو القصاص، فقال جبلة: أتقتص مني وأنا ملك، وهو سوقة، فقال عمر: الإسلام سوى بينكما، ثم استمهل إلى غد، فهرب، فصار مجموع من ارتد إحدى عشرة فئة أو فرقة (٢).

قوله ﷺ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ قيل القوم هم أبو بكر وأصحابه، وقيل هم من أهل اليمن، وقيل: هم رهط أبي موسى الأشعري، ورجح الطبري (٣) أن الآية نزلت في قوم

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٧٧/١٢، تفسير الخازن، ٥٤/٢، الكشاف، ٦٤٥/١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٧٨/١٢، الكشاف، ٦٤٦/١، البحر المديد، ٥٢/٢.

(٣) انظر: جامع البيان، ٤١٩/١٠، تفسير العز بن عبد السلام، ٣٩٣/١، البحر المحيط، ٢٩٧/٤.

أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لما رُوي أن النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية قال: (هم قومك يا أبا موسى، وأوماً رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري) (١).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قوله: (من يرتد): ارتد ارتداداً فهو مرتد، ارتد عن الشيء: رجع وعاد، ارتد عن دينه: كفر بعد إسلامه، تركه ورجع عنه (٢).

و(من يرتد): أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه، أو إلى غير دين، أو ترك ركناً من أركان الإسلام كالزكاة جهاراً أو عناداً (٣).

قوله تعالى: (أدلة على المؤمنين): أدلُّه: استصغره وأخضعه وأحقره، وأدلة جمع دليل، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت من ذل: ضعيف مهين، وضع صغير النفس.

ذل دليل: مبالغة في الإهانة، رفيق رحيم لين متواضع.

ومعنى أدلة على المؤمنين شديد الرحمة والعطف بهم (٤).

قوله تعالى: (أعزة على الكافرين) العز: خلاف الذل، ومطر عز أي شديد وعز الشيء إذا قل فهو عزيز ونادر.

ومعنى أعزة على الكافرين: أشداء غلاظ عليهم (٥).

(لومة لائم): اعتراض معترض؛ لأن المنافقين كانوا يخافون لومة لائم (٦).

الجوانب البلاغية:

"أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين": بين لفظ أعزة وأدلة طباق وهو من المحسنات البديعية (٧).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، باب تفسير سورة المائدة، ح (٣٢٢٠)، ٣٤٢/٢، قال الحاكم

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٢٠/١.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، ٦٤٣/١، التفسير المنير، ٢٣٠/٦.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية، ٥٤/١، ١٢٩١.

(٥) انظر: منتخب صحاح الجوهري، ٣٣٧٢/١، التحرير والتنوير، ٢٣٧/٦.

(٦) انظر: معاني القرآن، للزجاج، ١٨٣/٢.

(٧) انظر: صفوة التفاسير، ٣٢٦/١.

لومة لائم: في تنكير لومة لائم مبالغة لا تخفى؛ لأن اللومة المرة من اللوم ووقعت لومة هنا في سياق النفي فهي تفيد العموم (١).

القراءات:

"من يرتد": قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر من يرتدد بدالين على فك الإدغام، وهو لغة أهل الحجاز وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام، وقرأ الباقر بدال واحدة مشددة بالإدغام وهو لغة تميم (٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

جاءت الآيات منبهةً للمؤمنين ومحذرةً من الارتداد عن دين الله كما ارتد هؤلاء المنافقون الذين عرفوا أمرهم ومصيرهم، فستكون عاقبة المرتد منهم هي نفس عاقبة أولئك المنافقين: الندم والحسرة والخزي والخسران المبين، وإن فعلتم ذلك فسوف يأتي الله بقوم خير منكم يحبهم ويحبون الله تعالى فيطيعونه، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين، وفيهم شدة وغلظة على أعدائهم الكافرين، وهؤلاء يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في سبيله لومة لائم ولا اعتراض معترض، وهذا من فضل الله تعالى، يمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير والله ﷻ كثير الفضل عليهم بمن يستحقونه من عباده (٣).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- بيان إعجاز القرآن: أخبر القرآن الكريم عن ارتداد العرب وهذا من إعجاز القرآن، والإخبار بالغيب يبين صدق القرآن والرسول ﷺ، فكان آية من عند الله حيث بين ﷻ الوعيد لهؤلاء المرتدين وحذر المؤمنين من موالاتهم (٤).
- توضيح علاقة المؤمنين بغيرهم: حيث بينت الآية أن المؤمنين أدلة على بعضهم رحماء فيما بينهم يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، أعزة على الكافرين أشداء عليهم، قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته (٥).

(١) انظر: روح المعاني، ٤٠٦/٢.

(٢) انظر: شرح طيبة النشر، ٢٢٠/١.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، ١١١٩/٣، أضواء البيان، ٤١٥/١، التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٠١/٤، المنتخب، ١٥٦/١، التفسير المنهجي، ص ٧٤.

(٤) انظر: تفسير المراغي، ٢١٣٩/٦، تيسير التفسير، القطان، ٤١٢/١.

(٥) انظر: التفسير المنير، ٢٣٦/٦.

- إظهار فضيلة الأشعريين قوم أبي موسى الأشعري: تبين من سبب نزول آية ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ...﴾ أن أصح ما قيل في نزولها أنها نزلت في الأشعريين، ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله ﷺ وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن (١) وروى الحاكم في المستدرک بإسناده: أن النبي ﷺ أشار إلى أبي موسى الأشعري، لما نزلت هذه الآية فقال: (هم قوم هذا) (٢).

- بيان فضل الجهاد في سبيل الله: دل قوله ﷺ ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنهم جاهدوا في الله ﷺ في حياة الرسول ﷺ وقاتلوا المرتدين بعده، والآية تشير إلى وجوب المجاهدة في سبيل إعلاء كلمة الله عن طريق قتال أعدائه ﷺ أو عن طريق الجهر بكلمة الحق أو إحقاق الحق وإبطال الباطل دون أن يخاف المجاهد لومة لائم، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي الله تعالى وحببيه، وفيها دليل على أن محبة الله للمؤمنين من أعلى الغايات التي يتطلعون إليها، وقيل الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة والله أعلم (٣).

بيان صفات المؤمنين المخلصين:

- ١- أنهم أناس يحبهم الله تعالى أي يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويرضى عنهم.
- ٢- ويحبون الله تعالى باتباع أوامره واجتتاب نواهيه.
- ٣- وهم أذلة على المؤمنين، متواضعون لهم، متفاهمون معهم، متعاونون.
- ٤- وهم أعزة على الكافرين، أي أشداء متعالون عليهم، معادون لهم كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين في آية أخرى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].
- ٥- وشأنهم أنهم يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله ودينه، ومن أجل مناصرة الحق والخير والفضيلة وتوحيد الإله، ويدافعون عن الأوطان والأهل والديار والبلاد.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٢٠.

(٢) المستدرک، للنيسابوري، سبق تخريجه، ص ٧١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٢١، التفسير المنير، ٦/٢٣٦، بتصرف.

٦- وهم لا يخافون في الله لومة لائم، أي لا يخشون لوم أحد واعتراضه ونقده، لصلابتهم في دينهم، ولأنهم يعملون لإحقاق الحق وإبطال الباطل على نقيض المنافقين الذين يخافون لوم حلفائهم وأنصارهم من الأعداء.

هذه الصفات الست التي انصف بها هؤلاء المؤمنون المخلصون هي فضل من الله العظيم والله سبحانه يؤتي فضله من يشاء، ويوفق إليه من يريد، والله واسع عليم^(١)، وفيها حث للمسلمين للاتصاف بهذه الصفات الكريمة حتى نفوز بإحسان الله وحبه وفضله.

بيان عقوبة المرتدين: لا ينصح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها من توحيد الله والنهج النبوي الكريم فمن حالف اليهود فقد ارتد، والآية لم تتحدث عن عقوبة دنيوية لمن ارتد عن الدين وإنما بين ﷺ حكم الردة فقال: **(من بدل دينه فاقتلوه)**^(٢)، وقوله ﷺ: **(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة)**^(٣)، ويحتج أهل الشبهات بأن القرآن لم يبين حكماً عقابياً في الدنيا للمرتد وعلى الناس الرجوع إلى السنة المبينة للقرآن فنحن نأخذ الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فقد عاقب أبو بكر المرتدين بالقتل فقاتل المرتدين وأعادهم للصف الإسلامي، ونفذ عقوبة الردة في امرأة ارتدت والصحابة متوافرون حوله ولم ينكروا^(٤).

كذلك نفذ معاذ بن جبل عقوبة الإعدام في يهودي ارتد باليمن تنفيذاً لوصيته ﷺ له: **(أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها)**^(٥)، وفي عصرنا الحديث نفذ جعفر نميري في السودان حكم الردة في محمود محمد طه بعد أن استتابه فلم يتب^(٦).

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، ٤٧٣/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ح (٦٩٢٢)، ١١٥/٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: (النفس بالنفس)، ح (٦٨٧٨)، ٥/٩.

(٤) سبل السلام للصنعاني، باب قتل من سب النبي ﷺ، ح (١١٢٦)، ٣٨٣/٢، وهو حديث حسن.

(٥) سبل السلام للصنعاني، باب قتل من سب النبي ﷺ، ح (١١٢٦)، ٣٨٤/٢، وقال وإسناده حسن.

(٦) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٣٤١/٢.

المطلب الثالث

صفات الذين يحبهم الله ﷻ ويحبونه

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ [المائدة: ٥٥-٥٦].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بين الله ﷻ خطورة موالاتة غير المؤمنين والارتداد عن دين الله التي تُعدُّ كُفْرًا يستحقُّ القتل عليه، بيّن بعد ذلك الذين تجب موالاتهم وهم الله ورسوله والمؤمنون (١).

ثانياً: أسباب النزول:

ذكرت روايات يقوى بعضها بعضاً أنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، حيث إن النبي ﷺ خرج إلى المسجد فبصر بسائل فقال له: هل أعطاك أحدٌ شيئاً قال: نعم خاتم فضة أعطانيه ذلك القائم يصلي وأشار إلى علي فكبر النبي ﷺ ونزلت الآية (٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

الحزب: الصنف من الناس ومن قولهم حَزَبَهُ كذا: أي نابه فكأن المتحزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة التي تنوب، وحزب الرجل: أصحابه، والحزب: الورد، وتحزبوا: اجتمعوا، والأحزاب الطوائف، وحزب الله: أنصار الله تعالى (٣).

الجوانب البلاغية:

* قوله: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا): فيها تعريض بمن ينصر مرضى القلوب في توليهم الكفار من دون الله (٤)، وموقع هذه الجملة موقع تعليل للنهي السابق، وتأكيداً للنهي عن ولاية اليهود والنصارى.

* قوله: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾:

١- قيل المقصود هنا علي فتكون الزكاة في هذه الآية هي الصدقة التطوعية.

(١) انظر: تفسير المراغي، ١٤٣/٦.

(٢) انظر: جامع البيان، ٤٢٦/١٠، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢١/٦، أسباب النزول، ح (٣٩٦١)، ٢٠١/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ٣١٨/١، فتح القدير، ٦١/٢، أيسر التفاسير، ٦٤٣/١.

(٤) انظر: تفسير المراغي، ١٤٤/٦.

٢- قيل المقصود هنا المؤمنون عامة فتكون الزكاة المفروضة هي المقصودة هنا، وذكر الركوع لأهميته.

قوله سبحانه (فإن حزب الله) ولم يقل حزب الله ورسوله للإشارة إلى أن الرسول ﷺ لا يعمل إلا بأمر من الله تعالى وأنه ﷺ لا يستمد العون والنصر إلا منه ﷺ (١).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بين الله ﷻ في هذه الآيات من تجب موالاتهم فقال ﷺ: إنما وليكم الله الذي بيده كل خير، والرسول الكريم الذي أخرجكم من الظلمات إلى النور بإذن ربه، والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة كاملة تامة، ويؤتون الزكاة لمستحقيها بلا نفاق وبلا رياء وهم خاشعون وخاضعون ومتواضعون لله، ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين وذلك بطاعة الله ورسوله والتأسي بالرسول وهديه ومناصرة المؤمنين ومعاونتهم فإنه هو الناجي والفائز والغالب لغيره من الأحزاب الأخرى التي استحوذ عليها الشيطان وأي فضل ونعمة أحسن من أن يكون الإنسان في حزب الله تعالى (٢).

خامساً: مقاصد وأهداف النص :

- بيان أسباب الفلاح والنصر: حثت الآيات المؤمنين إلى موالاته الله ورسوله والمؤمنين وأنه واجب موالاتهم، وبشرتهم بالفلاح والنصر، لأن من والى الله والاه الله لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [المجادلة: ٢٢] ، فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور فيهما.

- صفات حزب الله المخلصين: بينت الآيات صفات المؤمنين وهم:

١- الذين يقيمون الصلوات الخمس، ويداومون عليها، ويؤدونها كاملة تامة الأركان والشروط، خاشعين متواضعين لله ﷻ يؤدونها بلا نفاق وبلا رياء، ويتقربون بالنوافل؛ لأن الصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، ورأس القربات، وغرة الطاعات.

(١) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٠٢/٤.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٥٦/٥، التفسير الواضح، ٥٢٩/١، التفسير المنهجي، ص ٧٤.

٢- يؤتون الزكاة، إذ هي مطهرة للمرء من دنس الذنوب، ومطهرة من البخل، ومنمية للحسنات، فهي فرض الله ﷻ ورزق لعباده المحتاجين يصرفها صاحبها إلى مستحقها.

٣- الإحسان للخلق فهي صفة نبيلة، وخصلة جليلة يحبها الله ويحبها أهلها، فإذا أحسن المسلم إلى الآخرين في هذه الدنيا كانت النتيجة إحسان الله إليه في الدنيا والآخرة، وأول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم يجنون ثمراته عاجلاً في نفوسهم وأخلاقهم وضمائهم، فيجدون الانشراح والسكينة والطمأنينة، فالإحسان كالمسك ينفع حامله ويأتعه ومشتريه.

٤- الصدق عند اللقاء، فإذا توفرت فيهم هذه الصفات كانوا من حزب الله، وهذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله، وصار من حزيه وجنده، وأن له الغلبة والانتصار.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (٥٧-٦٦) من سورة المائدة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدين بين المستهزئين والكارهين له.

المطلب الثاني: سفاهة أهل الكتاب.

المطلب الثالث: صفات اليهود وجرائمهم.

المطلب الرابع: اتهام اليهود للمولى ﷺ بالبخل.

المطلب الأول

الدين بين المستهزئين والكارهين له

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧-٥٨] .

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها:

بعد أن نهى ﷺ في الآيات السابقة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء -حلفاء وأنصاراً- من دونه لأن بعضهم أولياء بعض ولا يواليهم إلا المنافقون مرضى القلوب، أعاد النهي هنا وكرره للتأكيد على النهي عن اتخاذ الكفار عامة أولياء والسبب هو إيذاؤهم للمؤمنين بجميع ضروب الإيذاء، ومقاومتهم دينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً^(١).

ثانياً: أسباب النزول:

* سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا... ﴾ .

قال ابن عباس مبيناً سبب نزول هذه الآيات: كان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام وناقفاً، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فنزل قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ... ﴾ الآية^(٢).

وروى ابن عباس: أن قوماً من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم، قال الكلبي: كانوا إذا نادى منادي رسول الله قالوا: صياح مثل صياح العير، وتضاحكوا، فأنزل الله هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ... ﴾^(٣).

* سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨] .

عن السدي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرِّقَ الكاذب، فدخلت خادمة ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام،

(١) انظر: تفسير المراعي، ١٤٥/٦، التفسير المنير، ٦/٢٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان، ١٠/٤٢٩، أسباب النزول، للواحي، ح (٣٩٨)، ١/٢٢٠.

(٣) انظر: مراح ليبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ١/٢٧٩، التحرير والتنوير، ٦/٢٤١.

فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله (١).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

* قوله: ﴿اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا﴾، الدين: الحكم، ويأتي بمعنى الأمة (٢)، وهو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة (٣).

الهزاء: هو السخرية (٤)، ويشتمل على معاني الاستخفاف والتهكم، ويكون المرح في مقام الجد للسخرية بموضوعه والعبث به (٥).

اللعب: ضد الجد، واللعب أصل معناه من لعاب الطفل، ويقال عن الطفل لعب بفتح العين إذا سال لعبه، ومعناه: العمل الذي لا يقصد به نفع، بل يقصد به التسلية (٦).

الكفار: الكفر ضد الإيمان، وهو بمعنى التغطية والستر (٧).

والكفار في الآية أريد به المشركين من أهل المدينة الذين أظهروا الإسلام نفاقاً (٨).

ناديتهم إلى الصلاة: دعوتهم إلى الصلاة بالأذان والإقامة (٩).

الجوانب البلاغية:

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية تحذر من موالاته اليهود والمشركين الذين بالمدينة ولا مدخل للنصارى فيها إذ لم يكن في المدينة نصارى فيهزأوا بالدين (١٠).

(١) انظر: جامع البيان، ٤٣٢/١٠، الكشاف، ٦٥٠/١، تخريج أحاديث الكشاف، باب سورة المائدة، ٤١٠/١.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٣١٩/٢، ٢٧/١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤١/٦.

(٤) انظر: العين، ٧٥/٤، جمهرة اللغة، ١١٤٢/٢.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٥٩/٥.

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ١٦٨/٢، ١٧٠/٢، المخصص، ١٣/٤، زهرة التفاسير، ٢٢٥٩/٥.

(٧) انظر: مختار الصحاح، ٢٧١/١، المعجم الوسيط، ٧٩٢/٢.

(٨) انظر: التفسير المنير، ٢٣٩/٦.

(٩) المرجع السابق، ٢٣٩/٦.

(١٠) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤١/٦.

وقال أهل الكتاب ولم يحدد اليهود لأن اللفظ شمل اليهود بالاستهزاء لعلم الله بأنه سيأتي زمان يستهزئون به بدين الله وكذلك النصارى سوف يأتي يوم ويستهزئون بدين الله (والله أعلم).

* قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيها حث وإثارة لاستنهاض الهمة في الانتهاء وإلهاب نفوس المؤمنين ليظهروا أنهم مؤمنون (١).

* قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا...﴾ تبين مظاهر الاستخفاف بالمؤمنين في الصلاة:

١- كانوا يضحكون من المسلمين وقت سجودهم.

٢- إذا نادى المنادي للأذان قالوا: صياح مثل صياح العير.

وقيل ليس في كتاب الله ذكر الأذان إلا في هذا الموضع، أما قوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾ [الجمعة:٩] فهو خاص ببناء الجمعة، والنداء إلى الصلاة هو الأذان وقد شرع الأذان في السنة الثانية للهجرة بعد تحويل القبلة.

* قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيها تحقير لهم إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء فجعله موجباً للاستهزاء سخافة لعقولهم ولأن الهزؤ واللعب شأن أهل السفه والخفة والطيش ومن ليس لهم عقول (٢).

القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَالْكَفَّارَ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي بالجر على تقدير من، أي ومن الكفار، قال الكسائي: وفي حرف أبي "ومن الكفار"، وقرأ من عداهما الجمهور بالنصب "الكفار" عطفاً على "الذين اتخذوا دينكم"، قال النحاس: وهو أوضح وأبين.

قال مكِّي: لولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض لقوته في الإعراب وفي المعنى وفي التفسير والقرب من المعطوف عليه (٣).

قال أبو جعفر: والصواب من القول: إنها قراءتان متفتتا المعنى صحيحتا المخرج، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراءة فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب لأن النهي عن اتخاذ ولي من

(١) انظر: التفسير المنير، ٦/٢٣٩.

(٢) انظر: فتح القدير، ٢/٦٢، التحرير والتنوير، ٦/٢٤٢.

(٣) انظر: فتح القدير، ٢/٦٢.

الكفار نهي عن اتخاذ جمعهم أولياء (١).

ومؤدى قراءة أبي عمرو والكسائي، أي كلاً من أهل الكتاب والكفار قد اتخذوا الدين هزواً ولعباً، فيما تدل قراءة الباقيين أن المتصف بذلك هم أهل الكتاب وحدهم مع اشتراك القراءتين في التحذير من اتخاذ أي من الفريقين أولياء من دون المؤمنين (٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

هذه الآيات دعوة أخرى من الله ﷻ إلى المؤمنين أن يجتنبوا أعداء الإسلام الذي اتخذوا الدين هزواً وسخرية ولهواً وهم اليهود والنصارى والمشركون، وهذا أقل ما فيه هو أن يغار المسلم على دينه وأنه إن لم يستطع قطع هذه الألسنة التي تهزأ بدينه وتسخر منه لضعفه، فليجتنب هؤلاء الساحرين المستهزئين إن كان من المؤمنين حقاً، وإذا ناديتهم أيها المؤمنون بعضكم بعضاً إلى الصلاة عن طريق الأذان، اتخذ هؤلاء المضلون الصلاة والأذان موضوعاً لسخريتهم وعبثهم وتهكمهم وتضحكوا عليها وعليكم، والسبب في ذلك أنهم قوم سفهاء، جهلاء ولو عقلوا لعلموا أنهم بعملهم هذا يحاربون الله ويصدون الناس عن أداء حقه عليهم من الولاء لجلاله، والشكران لنعمه إنهم ظلموا أنفسهم ظلاماً فوق ظلم وذلك بسبب عنادهم وأحقادهم (٣).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- حرمة اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين أولياء: لاسيما أهل الظلم منهم لاستهزائهم بشرائع الإسلام وأحكامه، كذلك نهى الله تعالى عن اتخاذ الكافرين بطانة وأصدقاء وأولياء لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَظَّمْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

(١) انظر: جامع البيان، ٤٣١/١٠.

(٢) انظر: الكنز في القراءات العشر، ٤٦٠/٢، شرح طيبة النشر، ٢٢٠/١، المكرر فيما تواتر من القراءات السبع، ١٠٥/١، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، ٥٧٢/٢، الهادي شرح طيبة النشر، ١٧٥/٢، القراءات وأثرها في علوم العربية، ٢٢٣/٢، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم، ٣٤١/١.

(٣) انظر: الجواهر الحسان، ٣٩٦/٢، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ٢٧٨/١، التفسير القرآني للقرآن، ١١٢٦/٣، أيسر التفاسير، ٦٤٧/١، التفسير المنهجي، ٧٥/١.

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] (١).

وقال ابن كثير في تفسيره: "ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصابحتهم ومصادقتهم ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين البطانة إليهم" (٢).

فائدة:

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لا يحل للمسلم أن يصف الكافرين - أياً كان نوع كفره، سواء كان نصرانياً، أم يهودياً، أم مجوسياً، أم ملحداً - لا يجوز له أن يصفه بالأخ أبداً، مثل قول إخواننا الأقباط، أو إخواننا النصارى وما شابه، فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير، فإنه لا أخوة بين المسلمين وبين الكفار أبداً، الأخوة هي الأخوة الإيمانية، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] (٣).

- **الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين:** بينت الآيات كيد الكفار، وما يتريصون به للإسلام وأتباعه، ولذلك جاءت الآيات تحذر من الاستماع للكفار عامة ولأهل الكتاب خاصة، أو طاعتهم، أو اتخاذهم أولياء، أو الركون إليهم، وقطعت ما في نفوس بعض المسلمين من ود وولاء لهؤلاء الأعداء من أجل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين فقط (٤).

- **عدم جواز الاستنصار بالمشركين:** هذه الآية فيها دليل على عدم جواز الاستنصار بالمشركين، وقد روي عن جابر أن النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا: نسير معك، فقال ﷺ: ﴿إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ عَلَىٰ أَمْرِنَا بِالْمَشْرِكِينَ﴾ (٥)، وهذا هو الصحيح من مذهب الشافعي (٦).

(١) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، البركاتي، ٢٧/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٤١/٢.

(٣) انظر: الولاء والبراء، ٢٨/١، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ٤٣/٣.

(٤) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ٢٠٠/١-٢٠٣.

(٥) مشكل الآثار، للطحاوي، ح (٢٥٨٠)، ٤١٦/٦، المعجم الأوسط، للطبراني، من اسمه محمد، ح (٥١٤٢)،

٢٢١/٥، المستدرک، للحاكم، الجهاد ح (٢٥٦٤)، صححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، ١٣٣/٢، السنن

الصغرى، للبيهقي، ح (٢٧٦٨)، ٣٦٥/٣، وفي معرفة السنن والآثار، ح (١٧٨٣٣)، ١٣/١٧٦، السنن

الكبرى، الاستعانة بالمشركين، ح (١٧٨٧٨)، ٦٤/٩، وقال هذا الإسناد أصح.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٤/٦.

- بيان أن الكراهية قائمة بين من يعصي الله من اليهود والمشركين وأهل الإيمان: وهي عداوة لا تنتهي حتى تقوم الساعة لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

- مشروعية الأذان: النداء إلى الصلاة في القرآن هو الأذان وقد دلت الآية على أن الأذان شيء معروف فهي مؤيدة لمشروعية الأذان وليست مُشرعة له لأنه شرع بالسنة، فالأذان لم يكن بمكة وإنما كان ينادي للصلاة باللفظ "الصلاة جامعة" ولما هاجر رسول الله ﷺ وصرفت القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة أمر بالأذان وبقيت "الصلاة جامعة" ولما همهم أمر الأذان رأى عبد الله بن زيد الأنصاري الأذان في المنام وكذلك رآه عمر وأبو بكر^(١)، وقيل ليس في كتاب الله ذكر الأذان إلا في هذا الموضع أما قوله: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) فهو خاص بنداء الجمعة.

- من عادة المشركين السخرية من المؤمنين ودينهم.

المطلب الثاني

سفاهة أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥٩-٦٠].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن حذر الله تعالى المؤمنين تحذيراً شديداً من موالاته أعدائه وبينت الآيات السابقة أن الولاية إنما تكون بين المؤمن والمؤمن لأنهم أخوة في العقيدة والإيمان أما الكافر فلا صداقة ولا مودة بينه وبين المؤمن وخاصة اليهود والنصارى - أهل الكتاب-، جاءت هذه الآيات تتحدث عنهم وتسفه عقولهم وأحلامهم وتوبخهم على عنادهم وحسدتهم^(٢).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٢٥.

(٢) انظر: قيس من نور القرآن، ص ١٠٣.

ثانياً: أسباب النزول:

ذكر الواحدي وابن جرير عن ابن عباس قال: جاء نفرٌ من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورابع بن أبي رافع، وعازر، وزيدٌ، وخالدٌ، وآزار بن أبي آزار، وأشيع، إلى النبي ﷺ فسألوه عن يؤمن به من الرسل؟، فلما ذكر عيسى ابن مريم قالوا: لا نؤمن بمن آمن بعيسى ولا نعلم ديناً شراً من دينكم وما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، فأنزل الله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ... وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥٩-٦٠] (١).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني الكلمات:

* قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنْتُمُونَ مِنَّا﴾: أي هل تعيبون أو تسخطون أو تنكرون أو تكرهون منا إلا إيماننا بالله وبكتبه المنزلة (٢).

مثوبة: الثواب والجزاء من ثاب يثوب إذا رجع، ويستعمل في الخير (جزاء) وفي الشر (عقوبة) ويكون بالخير أخص وأكثر استعمالاً (٣).

* قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: الطاغوت كل ما يعبد من دون الله كالشيطان والأصنام، والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد المشروع وعبادة الطاغوت مجاز عن طاعته (٤).
سواء السبيل: سواء بمعنى العدل والنصفة (٥)، أي: الطريق المعتدل وهو الإسلام (٦).

الجوانب البلاغية:

* قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنْتُمُونَ مِنَّا﴾ الاستفهام إنكاري تعجبي فالإنكار دل عليه الاستثناء والتعجب وفيه توبيخ مؤكد بالاستفهام، وهي من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وبالعكس فقد جعلوا التمسك بالإيمان موجباً للإنكار (٧)، ويقول ابن عطية: هذه الآية من المحاوراة البليغة الوجيزة ومثلها ﴿وَمَا

(١) انظر: جامع البيان، ٤٣٤/١٠، أسباب النزول، للواحدي، ح(٤٠٠)، ٢٠٣/١، التحرير والتنوير، ٢٤٣/٦.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، ١٨٦/٢، تأويلات أهل السنة، ٥٤٧/٣، فتح القدير، ٦٢/٣.

(٣) انظر: جامع البيان، ٤٣٧/١٠، المحرر الوجيز، ٢١١/١، لسان العرب، ٢٧٣/٣.

(٤) انظر: تفسير الراغب، ٣٨٨/٥، لسان العرب، ٢٧٣/٣، تفسير المراغي، ١٤٥/٦.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، ٨٦/١٣.

(٦) انظر: لسان العرب، ٤١٦/١٤، تحفة الأريب، ١٧٩/١، تاج العروس، ٣٢٢/٣٨.

(٧) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤٣/٦، زهرة التفاسير، ٢٢٦٢/٥.

نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿البروج: ٨﴾^(١).

* في قوله: ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ من باب التهكم حيث استعملت المثوبة في العقوبة نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] ^(٢).

* قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ نسب الشر للمكان وهو لأهله مبالغة في الذم، أولئك: الإشارة إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة^(٣)، وجعلت الشرارة للمكان بسبب وجودهم فيه.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

تضمنت هذه الآيات تعليم الله تعالى لرسوله أن يقول لأولئك اليهود والكفرة الفجرة: يا أهل الكتاب إنكم بمعادتكم لنا وحركم علينا ما تتقون منا أي ما تكرهون منا ولا تعيبون علينا إلا إيماننا بالله، وما أنزل علينا من هذا القرآن الكريم وما أنزل من قبل من التوراة والإنجيل والزيور وغيرها، وكون أكثركم فاسقون فهل مثل هذا ينكر من صاحبه ويعاب عليه؟ اللهم لا، ولكنكم قوم لا تعقلون، ثم تابع ﷺ التهكم بهم وتعجيب الناس بهم وبفساد رأيهم مع تذكيرهم بسوء مصيرهم وتعليم الرسول ﷺ كيف يرد على أولئك اليهود قل لهم على سبيل التبيكيت والتنبيه على ضلالهم: هل أخبركم بشر الناس عقوبة عند الله تعالى يوم القيامة؟ إنه من لعنه الله تعالى وطرده من رحمته وغضب عليه ومسح بعضهم قرده وبعضهم خنازير وجعل منهم عبد الطاغوت، إن أولئك شرٌّ مكاناً من غيرهم وأكثر ضلالاً عن طريق الحق المستقيم من سواهم، فهم في الدنيا يشركون بالله تعالى وينتهكون محارمه، وفي الآخرة مأواهم النار وبئس القرار^(٤).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- بيان فساد عقول اليهود وسوء أخلاقهم: أظهرت الآيات سوء أخلاق اليهود وفساد عقولهم وسفورهم بفسقهم، وحسدكم للمؤمنين على ما آتاهم الله من الإيمان الحق، مما جعلهم يعملون على إضلال المسلمين، فاليهود شر الناس مكاناً يوم القيامة وأضل الناس في هذه الدنيا.

(١) انظر: المحرر الوجيز، ٢/٢١٠.

(٢) انظر: التفسير المنير، ٦/٢٣٩، صفوة التفاسير، ١/٣٢٤.

(٣) انظر: الموسوعة القرآنية، ٩/٣٩٢.

(٤) انظر: فتح البيان، ٤/٧، محاسن التأويل، ٤/١٧٩، تيسير الكريم الرحمن، ١/٢٣٧، المنتخب، ١/١٥٧،

التفسير المنهجي، ص ٧٨.

- طبائع اليهود المعاصرين للنبي ﷺ من طبائع أسلافهم: خاطبت الآيات اليهود المعاصرين للنبي ﷺ والذين في بيئته للربط بين أخلاقهم الذميمة وشذوذهم وأخلاق وشذوذ آبائهم الأولين، حيث ظهر تعبير اليهود المجادلين للمسلمين وتذكيرهم بسوء حال أسلافهم مع أنبيائهم وما كان من عقاب الله لهم فمسخت آدميتهم، ومسخت طبيعتهم فكانوا عبرة لغيرهم ولمن تسول له نفسه العمل مثلهم فكان ذلك تنديداً وإنكاراً وتبكيئاً لهم عن التناول فالضلال والفساد والفسق والأخلاق السيئة ميراث سيء توارثه الأبناء عن آبائهم وأجدادهم من الماضي البعيد.
- تقرير وجود مسخ في اليهود: جمهور المفسرين على أنهم مسخوا فكانوا قردة وخنازير حقيقة، وانقرضوا؛ لأن المسوخ لا يكون له نسل، والدليل عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله؟ فقال: (إن الله لم يهلك قوماً - أو قال لم يمسخ قوماً - فيجعل لهم نسلًا ولا عقباً، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك) ^(١)، وروى أن الله مسخ أصحاب السبت الصغار منهم قردة والكبار منهم خنازير، وروى أيضاً أن الله مسخ أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى خنازير ^(٢).
- الحذر من غضب الله ﷻ: اللعنة من الله هي الإبعاد والطرده من رحمته تعالى، واللعنة تلزم الغضب الإلهي وهو يستلزم اللعنة إذ هي منتهى المؤاخذه لمن غضب الله عليه، وغضب الله عليه أي غضباً لا يرضى عنه أبداً، فكان العقاب لليهود أن جعل منهم القردة والخنازير غضباً منه عليهم وسخطاً فعجل لهم الخزي والنكال في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار وبئس المصير، فنسأل الله أن يرضى عنا ونعوذ بالله من غضب الله.

المطلب الثالث

صفات اليهود وجرائمهم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ * وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ [المائدة: ٦١-٦٣].

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها:

بعد توبيخ أهل الكتاب على عنادهم وحسدتهم من خلال عرض تاريخهم وجرائمهم يمضي السياق في التنفير من موالاتهم وبيان حال المنافقين من اليهود بعرض صفاتهم القبيحة

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب آجال مضرورية وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، ح (٦٨٦٦)، ٥٥/٨.

(٢) انظر: التفسير المنير، ٢٤٣/٦.

وخداهم التي ينأى عنها العقلاء وأصحاب المروءة والتحذير منهم^(١).
ثانياً: سبب النزول الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].

ذكر الطبري عن قتادة والسدي قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا...﴾، أنهم أناس من اليهود، كانوا يدخلون على النبي ﷺ فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلاتهم والكفر، وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله ﷺ^(٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

يكتمون: الكتمان: نقيض الإعلان، وكنم الخبر: أخفاه وستره وطمسه، أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها^(٣).

الإثم: هو الذنب والمعصية والخطيئة والميل عن الحق، وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل وأريد به هنا الكذب^(٤).

العدوان: الظلم والمراد به الاعتداء على المسلمين إن استطاعوا^(٥).

السحت: المال الحرام، كالرشوة والربا وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله^(٦)، وقيل: هو ما خبث من المكاسب وحُرِّم فلزم عنه العار وسمي سحت لأنه يسحت البركة أي يُذهبها^(٧).

الريانيون: كما يقول ابن جرير جمع ريانى وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم^(٨).

والأخبار: جمع خبر - عالم ديني - وهم علماء اليهود وفقهاؤهم المفسرون لما ورد في التوراة من

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٩٢٧/٢، التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٠٩/٤.

(٢) انظر: جامع البيان، ٤٤٥/١٠.

(٣) انظر: المحيط في اللغة، ٤١/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢١٦٦/١، أيسر التفاسير، ٦٤٨/١.

(٤) انظر: المحيط في اللغة، ١٨١/١، منتخب من صحاح الجوهري، ٢٩/١، التحرير والتنوير، ٢٤٨/٦.

(٥) انظر: النكت والعيون، ٥٠/٢، معجم اللغة العربية، ٢٠٦٠/١.

(٦) انظر: زاد المسير، ٥٦٥/١، تفسير غريب القرآن، للكوازي، ٦٣/٥.

(٧) انظر: لسان العرب، ٤١/٢.

(٨) انظر: جامع البيان، ٤٤٨/١٠.

أقوال وأحكام (١).

قال الحسن: الربانيون علماء الإنجيل والأخبار علماء التوراة وقال غيره: كلهم في اليهود لأنه يتصل بذكرهم (٢).

الجوانب البلاغية:

* قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ فيها وعيد شديد لهم على نفاقهم،

* قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ...﴾ [المائدة:٦٢]، الخطاب في الآية للرسول ﷺ أو لكل من يصلح له وخص السحت بالذكر مع اندراجه في الإثم للمبالغة في التوبيخ،

* قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار (٣).

* قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ...﴾ [المائدة:٦٣]، "لولا" تحضيضية، أي يقصد بها الحث على الفعل، أي كان يجب أن ينهاكم الربانيون والأخبار عن أكل السحت وقول الإثم والعدوان (٤).

قال البيضاوي: "لولا: هذا للحض، فإذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض" (٥).

* قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣] والتذييل في الآية السابقة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢]، فالحق يفرق بين بئس عن صناعة وبئس عن عمل، لأن كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، فالعمل يسمى صناعة إذا صار مستقراً راسخاً متمكناً فهو عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو وتحر وإجادة (٦).

فالآيتان تزمان ولكن الظم في "يصنعون" أبلغ وأقوى من "يعملون" وذلك لأن:

(١) انظر: جامع البيان، ١٠/٤٤٨، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/٩٩٧.

(٢) انظر: روح المعاني، ٣/٣٤٥.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، ٢/١٣٤، إرشاد العقل السليم، ٣/٥٧، فتح القدير، ٢/٦٤.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، ٦/٣٢٦٠.

(٥) أنوار التنزيل، ٢/١٣٤.

(٦) انظر: الكشاف، ١/٦٥٤، الموسوعة القرآنية، ٩/٣٩٢.

١- سلوك العامة من أهل الكتاب ارتكبوا الآثام والمعصية مع شهوة تدعوهم إليها وتحملهم على ارتكابها فجرمهم غير راسخ فاستعمل الحق "يعملون".

٢- أما الريانيون والأخبار التاركون للنهي عن المنكر لا شهوة لنهيمهم وتركهم وتقريطهم في الإنكار والحسبة وهي أقبح وأشدّ حالاً من مواجهة المعصية فالذنب ذنباً راسخاً فاستعمل الحق "يصنعون" (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: في الآية ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ هي أشدّ آية في القرآن، أي ليس في القرآن آية أشدّ توبيخاً للعلماء من هذه الآية (٢).

وعن الضحاك: "ما في القرآن آية أخوف عندي منها وفيها نعي للعلماء لتوانيمهم في النهي عن المنكر أي أنها حجة على العلماء إذا قصرُوا في الهداية والإرشاد وتركوا النهي عن الشرور والآثام التي تفسد نظام الحياة للفرد والمجتمع" (٣).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بين الله ﷻ في هذه الآيات حال المنافقين إذا جاءوا إلى المؤمنين وقالوا آمنا بأنكم على حق وحالهم أنهم متلبسون بالكفر ويخرجون من عندكم وهم متلبسون به أيضاً فيدخلون عندكم ويخرجون وقلوبهم كما هي لا تتأثر بالمواعظ التي يلقيها الرسول ﷺ لأن قلوبهم قد قست وفسدت نفوسهم، والله أعلم بنفاقهم وخداعهم وحسدكم وبغضهم للمؤمنين فاحذروهم ولا تولوهم ثم أضاف القرآن من أوصافهم شراً مما ذكر، فقال فترى أيها الرسول الكريم وأبيها السامع أن كثيراً منهم يسارعون في ارتكاب الآثام والمعاصي والتعدي والظلم وأكل مال الحرام لبئس العمل عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم.

ثم حض الله تعالى علماءهم على النهي عن قول الإثم وأكل المال الحرام وكل تلك المآكل الخبيثة لبئس ما كان يصنع هؤلاء الأخبار من ترك النصيحة والنهي عن المعصية (٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٣٩٣/١٢، إرشاد العقل السليم، ٥٧/٣.

(٢) انظر: زاد المسير، ٥٦٥/١.

(٣) الجواهر الحسان، ٣٩٨/٢، تفسير المراغي، ١٥٠/٦.

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ١١٣٠/٣، التفسير المنير، ٢٤٤/٦، التفسير المنهجي، ٧٨-٧٩.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- بيان سوء طبائع اليهود وسوء أخلاقهم:

١- النفاق هو الصفة الغالبة على اليهود فالمخادعة والحقد والحسد تملأ قلوبهم ضغينة وحقدًا على الناس فهم إذا التقوا بالمؤمنين لأمر ما بيتوه في صدورهم، أظهروا الإيمان حتى يطمئن إليهم المؤمنون ويأمنوا جانبهم وهم على الحقيقة ليسوا من الإيمان في شيء، فالله ﷻ يعلم ما يخفون فالحذر من موالاتهم.

٢- مسارعتهن للإثم والعدوان فالآيات تدل على أن هناك أناساً في سباق كأنهم يتسارعون على الإثم والعدوان وكأن الظلم والعدوان والإثم غاية منصوبة في أذهانهم متفقة مع قلوبهم فتراهم في كل زمان ومكان يعيثون في الأرض فساداً وتدميراً يدمرون الحجر والشجر والبشر وكذلك أكل المال الحرام والاعتصاب والزنا والاختلاس منتشر حتى في زماننا هذا نرى رؤساءهم يختلسون الأموال ويرتكبون الجرائم لعنة الله عليهم أينما كانوا.

٣- جريمة الحسد والحقد هي الجريمة التي تسبقها عقوبتها عكس أي جريمة أخرى فأى جريمة تتأخر عقوبتها عنها إلا الحقد والحسد، فتتال عقوبة الحقد من صاحبها من قبل أن يحقد؛ لأن الحاقق لا يحقد إلا لأن قلبه ومشاعره تنمزق عندما يرى المحقود عليه في خير، ولذلك يقال في الأثر: "حسبك من الحاسد أنه يعتّم وقت سرورك" (١).

- **بيان خطورة وقبح سكوت العلماء عن المنكر والفساد:** الآيات تنعى العلماء عن التواني في النهي عن المنكر وارتكاب المعاصي والآثام ولذا قال كثير من السلف في هذه الآية أشد آية وأخطرها في توبيخ العلماء لذا يجب على العلماء النهي عن ارتكاب الجرائم والآثام، والنصيحة لمن يحتاج، فالآية حجة على العلماء إذا قصرُوا في الهداية والإرشاد وترك النهي عن الشرور والآثام التي تفسد نظام الحياة للفرد والمجتمع.

- **التنديد باليهود وعلمائهم:** بينت الآيات حقيقة اليهود وخداعهم والتنديد بهم حين يدخلون وقلوبهم جاحدة وحين يخرجون يخرجون كفاراً جاحدين مع أن كثيراً من الكفار لانت قلوبهم وأسلموا عند سماع كلام النبي ومجالسته ﷺ ولكنها حقيقتهم التي لا تتبدل وقلوبهم القاسية وجحودهم منعتهم من ذلك، ولكن التنديد بعلماء اليهود كان أكبر والتوبيخ أشد؛ لأنه كان واجباً عليهم زجر بني ملتهم عن تلك الأخلاق السيئة ولكنهم لم يفعلوا وكان لهم ضلع ويد في المواقف الخبيثة التي كان يقفها اليهود فضلاً عن إغضائهم عما كان مستشرياً في يهود من

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٦/٣٢٥٨.

أخلاق سيئة واستحلال مال الآخرين والعدوان عليه.

- بيان أثر المنافقين على المجتمع: تشير الآيات إلى انتشار المنافقين الفاسدين بين صفوف المجتمع المسلم وأنه إذا كان للمسلمين عدو ظاهر يعرفون وجهه ويأخذون حذرهم منه، ويعملون على قهره وكسر شوكته، فإن ذلك ينبغي ألا يشغلهم عن عدو خفي يندس فيهم، بل إن عليهم أن ينتبهوا إلى هذا العدو المتخفي وأن يرصدوا تحركاته وأن يضربوه الضربة القاضية كلما أطل برأسه من جحره، ولم يقتصر بثُ المنافقين للإشاعات وقولهم الإثم وتحبيط المسلمين في عهد الرسول بل إننا ما زلنا نلمسه في وقتنا الحاضر حيث يقوم المنافقون (العملاء) بنشر الإشاعات والإحباط بين أفراد المجتمع فما أشبه الماضي بالحاضر وما أشبه اليوم بالأمس فعلىنا الحذر من أمثال هؤلاء.

المطلب الرابع

اتهام اليهود للمولى ﷺ بالبخل والبقاء والعداوة والبغضاء بينهم

وثمره الاستقامة على دين الله

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٤-٦٦].

أولاً: مناسبة الآيات لما سبق:

بعد أن ذكر الله تعالى بعض قبائح اليهود ومخازيهم وطبائعهم الفاسدة من مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكل السحت ونحو ذلك من جمع المال من حلال أو حرام، ذكر الله ﷻ في هذه الآيات مزيداً من طبائعهم وسوء معتقدتهم وخبث قلوبهم وسوء أدبهم مع الله تعالى وهي أفتح الصفات حيث تجرؤا على ربهم ووصفوه بالبخل مما لا يقول به عاقل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(١).

(١) انظر: تيسير التفسير، القطان، ١/٤١٧، التفسير المنير، ٦/٢٥١.

ثانياً: سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق" فأنزل الله **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ...﴾** (١).

وقال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء لعنه الله، وأصحابه وكان لهم أموال فلما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قل مالهم، فقالوا: إن الله بخيل ويد الله مقبوضة عنا في العطاء، فالآية خاصة في بعضهم، وقيل: لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صاروا كأنهم بأجمعهم قالوا هذا (٢).

وروي أن اليهود نزلت بهم شدة وأصابتهم مجاعة وجهد فقال فنحاص هذه المقولة، وقيل إنهم حين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الهجرة وقد آخى بين المهاجرين والأنصار، وكانت تمر على المسلمين الليالي دون طعام فيراهم اليهود فيتندرون على تلك الحال ويقولون: إن يد الله مغلولة على محمد وآله (٣)، وأعتقد أن الثانية هي الراجحة؛ لأنها مذكورة عند ابن كثير والقرطبي، والثالثة جاءت بصيغة التضعيف روي، والأولى عند ابن كثير.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

مغلولة: عن ابن عباس مغلولة أي بخيلة، والغل: القيد يوضع في اليد، ومغلولة مقبوضة كناية عن البخل (٤)، وفي لسان العرب الشحيح يده مغلولة (ولا يد تَمَّ ولا غُلَّ) وإنما هو مثل في شدة البخل (٥).

أطفأها: الإطفاء الإخماد حتى لا يبقى لها أثر.

مقتصدة: أي عادلة غير متغالية من القصد وهو الاعتدال في العمل والاستقامة وترك الإسراف وهو ضد الإفراط (٦)، والمقتصد يطلق على المطيع، أي غير مسرف بارتكاب الذنوب، واقف عند حدود كتابهم (٧)، وأمة مقتصدة: معتدلة من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٤٦/٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/٦، تفسير القرآن العظيم، ١٤٦/٣.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٦٢/٦.

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٥١/٣، تفسير غريب القرآن، ٦٤/٥، صفوة التفاسير، ٣٢٢/١.

(٥) انظر: لسان العرب، ١٦٨/١٠، ٥٠٠/١١، تاج العروس، ٤٧٢/٢٥.

(٦) انظر: لسان العرب، ٥٧٦/١١، أوضح التفاسير، ١٣٩/١.

(٧) انظر: التحرير والتنوير، ٢٩٤/٦.

(٨) انظر: البحر المديد، ٥٩/٢، المنتخب، ١٥٨/١.

أقاموا التوراة والإنجيل: عملوا بما فيها من الأحكام على أتم وجه (١).

الجوانب البلاغية:

* قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: غل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ شبهت حال من قبضت يده عن العطاء فلا يعطي بحال من غلت يده (٢).

"مغلولة ، مبسوطتان": طباق من حيث اللفظ.

* قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: دعاء عليهم بتقييد أيديهم عن عمل الخير (٣)، أو الدعاء عليهم بالشح المرير الذي يجعلهم مبغضين للناس منحرفين عن طرقهم مطرودين من المجتمع، ويصح أن يفسر بالدعاء عليهم بالغل الفعلي بأيديهم بأن يمنعوا عن العمل الحر ويعيشوا أسارى أو كالأسارى في ذل، ويكون التعبير من قبيل الجناس بالمشاكلة اللفظية ويميل محمد أبو زهرة إلى هذا التفسير (٤).

* قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: يقصد (بين اليهود والنصارى) وبين سائر المسلمين أو بين اليهود أنفسهم فكل فرقة تخالف الأخرى فهم متنافرون طول العمر متباغضون أبد الدهر، شنت الله تعالى شملهم وفرق جمعهم لقوله تعالى: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] (٥).

* قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾: إيقاد النار في الحرب استعارة لأن الحرب لا نار لها وإنما شبهت بالنار لأنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها (٦).

* قوله تعالى: ﴿لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: استعارة عن سبوغ النعم وتوسعة الرزق عليهم، كما يقال: عمه الرزق من فوقه إلى قدمه (٧).

(١) انظر: التفسير المنهجي، ص ٨١.

(٢) انظر: الكشاف، ٦٥٤/١، زهرة التفاسير، ٢٢٧٧/٥.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، ٥٨/٣.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٧٩/٥.

(٥) انظر: أوضح التفاسير، ١٣٩/١.

(٦) انظر: صفوة التفاسير، ٣٢٦/١.

(٧) انظر: التفسير المنير، ٢٥٠/٦.

وعن ابن عباس: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: يعني لأرسل السماء عليهم مدراراً، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: يعني يخرج من الأرض بركاتها (١).

﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: كلمة ساء تدل على التعجب من كثرة سوئهم (٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر ﷺ في الآيات السالفة بعض مخازيهم من مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكل السحت يخبر عن كفر اليهود وجرائمهم بباطل القول وسيء العمل واتهامهم لله ﷻ بالبخل مع أنهم هم المتصفون بنقيصة البخل فهم المغلولة أيديهم وهم الملعونون بما نسبوه إلى رب العزة فانه ﷻ غني كريم ينفق كما يشاء، وإن كثيراً من هؤلاء لإمعانهم في الضلال ليزيدنهم ما أنزل إليك من ربك ظملاً وكفراً لما جبلوا عليه من حقد وحسد، وجعل الله لهم عقاباً العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وكلما أشعلوا ناراً لحرب الرسول ﷺ والمؤمنين أطفأها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه ﷺ وأتباعه.

وإن هؤلاء اليهود يجتهدون في نشر الفساد والفتن وإثارة الحرب والله لا يحب المفسدين، ثم بين ﷻ ثمرة الاستقامة على دين الله والإيمان بالله وبما جاء الرسول ﷺ، ولو أنهم حفظوا التوراة والإنجيل كما نزلوا وعملوا بما فيها وآمنوا بما أنزل إليهم وهو القرآن الكريم لوسّع الله تعالى الرزق وجعله يأتيهم من كل جهة وأفاض عليهم البركات وبين أنهم ليسوا سواء فمنهم جماعة عادلة عاقلة، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم، وكثير من أهل الكتاب لبئس ما يعملون ويقولون، وهم عن الحق معرضون (٣).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- الذب عن الله ﷻ ورسوله ﷺ عند وصفهم بما لا يليق بهم: قوله تعالى: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ هل يدعو الحق عليهم؟ طبعاً لا، لأنه هو المصدر الذي يتجه إليه الخلق بالدعاء وهو القادر على كل الخلق، ولكن الحق حين يذكر ما قالوه إنما ينبه الذهن الإيماني الذي يستقبل كلامه أنه حين يجد وصفاً لا يناسب الله فعليه أن يدفع هذا الكلام حتى قبل أن يرى الرد عليهم، وهذا يعلمنا أننا إذا سمعنا وصفاً لا يليق فلا بد أن ندحضه، لأن الحق لا يدعو على عبيده، لأن الدعاء هو أن يرفع عاجز طلبه إلى قادر لينفذ المطلوب له (٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٤٨/٣.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٨٥/٥.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود، ٥٩/٣، روح البيان، ٤١٦/٢، تفسير المراغي، ١٥٢/٦، التفسير الميسر، ١١٨/١.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٦٢/٦.

- بيان تطاول اليهود على الله ﷻ: حيث ظهر فساد معتقد اليهود في ذات الله تعالى وتطاولهم عليه ﷻ ووصفهم إياه بأقبح وصف، بما لا يليق بجلاله وكماله فوصفوه ﷻ بالبخل واجترأوا على مقام الألوهية وهذا من سوء الأدب مع الله، كذلك تكذيبهم الرسل هذه الصفة الدائمة فيهم وهي سبب تعاستهم، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ أَنذَرْتُمْهُمْ قَالُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بَيْنَنَا وَمَا نَرَىٰ مَعَ اللَّهِ حُكْمًا فَكَيْفَ يُقْضَىٰ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٨٧].
- تسليية الرسول ﷺ: تطاول اليهود على الله ﷻ ووصفوه بالبخل واختاروا ألفاظاً شديدة الوقاحة، فقالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾ وهذا يدل على جلافة قلوبهم وغلط حسهم وفسادهم فهم لا يتورعون عن التعدي على من دونه من الخلق فلا كبير ولا عظيم عند اليهود لعنة الله عليهم.
- بيان عظم عطاء الله ﷻ: عطاء الله ممتد ويداها بالإنفاق مبسوطتان ليلاً ونهاراً، فالله ﷻ جواد كريم لا يبخل بعطائه عن أحد، هو الواسع الفضل الجزيل العطاء ينفق كيف يشاء روى البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إن يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاًء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغْضُ ما في يده وكان عرشه على الماء ويده الميزان يرفع ويخفض وقال: قال الله تعالى: أنفق أنفق عليك" (١).
- بيان ثمرة الاستقامة على دين الله: دعت الآيات اليهود والنصارى إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله ﷻ بطريق التلميح لا التصريح وبأسلوب رقيق شيق بينت لهم فيه ثمرة الإيمان والاستقامة على شريعة الله ألا وهو السعادة في الدنيا والآخرة مع ما يغمرهم به ربهم من الفضل والإنعام والإحسان، فرحمة الله ونعمته مربوطة بنقوى الله وإقامة شرعه فمن فعل ذلك فالغنى والنعمة والرحمة تنتزل عليه لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]، ووعد بالمزيد لمن شكر فقال: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].
- النهي عن التقدير والبخل: اليهود أبخل الناس وأجبنهم في إخراج المال والبذل وذلك بدعوة أصابتهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ فلا تخرج من بين أيديهم رحمة ولا عطاء فالإسلام دين الوسطية أمرنا بالإنفاق ونهانا عن البخل وذلك بدون تبذير وإسراف لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩]، وقوله: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧]، ح (٤٦٨٤)، ٧٣/٦.

- بيان أن أسباب الفساد في الأرض اليهود: اليهود هم دعاة الفتنة وأصحاب الكيد والمكر وأشعلوا الحروب فما دخلوا في مجتمع إلا فرقوا أهله ومزقوه، فهم لا يأمنون إلا وسط افتراق الناس وتمزيقهم كما حاولوا تمزيق شمل المسلمين في المدينة زمن الرسول ﷺ، فهم أسباب الفساد في الأرض، هم الذين نشروا تعري النساء وبيع الخمر وموائد القمار والزنا واللواط وغيرها من الموبقات، فالعالم الإسلامي والعربي ممزق الآن بفعل اليهود والنصارى وتعديهم على المسلمين والعرب حكماً وشعباً، أما تجمعهم في بلدنا فلسطين فهو أمر موقوت وتنبيه لنا أن نعود إلى ديننا ونوحد صفوفنا ونعتصم بكتاب الله ﷻ ونجتمع عليه وليتم تدبير الله في هزيمتهم هزيمة منكرة لا تقوم بعدها قائمة لهم فهم إن عاجلاً أو آجلاً إلى زوال بإذن الله.

- بيان أن الجزاء من جنس العمل: سبق أن أخبرتنا الآيات عن عقاب الله لليهود بمسخهم قرده وخنازير، فكلما أحدث اليهود ذنباً أحدث الله لهم عقوبة فعاقبهم على طغيانهم وكفرهم فلعنهم وطردهم من رحمته وألقى العداوة والبغضاء بينهم، فنراهم لا تأتلف قلوبهم ولا تجتمع أرواحهم فهم في فرقة وشتات ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] ، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ...﴾ [المائدة: ٦٤] ، وأطفأ نار الحرب كلما أوقدوها وأحبط كل كيد ومكر لهم والله لا يحب المفسدين أمثالهم، فما أصابهم من هتك وضيق إنما هو بسبب خباياهم فالطاعات مفتاح لسائر السعادات وأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

- بيان أثر حسد اليهود على أنفسهم: من أسباب تعاسة اليهود تكذيبهم الرسل وحسدتهم للنبي ﷺ وما أنزل عليه من آيات بينات جعلهم يزدادون كفراً وطغياناً وغيظاً وسعيّاً في الأرض فساداً.

- أكثر أهل الكتاب فاسقون: بينت الآيات أن العمل بالتوراة والإنجيل معطل فلم ينتفعوا بهما، فجهلهم بالدين جعلهم أبغض الناس إلى الله، مع هذا فهناك في أهل الكتاب أمة مقتصدّة معتدلة وسطية في دينها لا تقريظ ولا إفراط مثل المؤمنين منهم كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام، فلا يخلو جنس من خير، فهؤلاء الكتابيون الذين كان فيهم اليهود لا يخلون من خير قد يدفعهم إلى الهداية وسلوك الحق المستقيم، وهكذا لا تخلو أمة أو زمن من المعتدلين ولا يخفى صوت الحق مهما حاول الفسقة كبته وخنقه، وإذا كثر أهل السوء وقل الصالحون هلكت الأمم.

- بيان فضل القرآن الكريم: إن إنزال القرآن الكريم على رسول الله ﷺ نعمة من أجل النعم يرفع الله به شأن هذه الأمة وشأن حاملي هذا الكتاب منزلة ومقاماً في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] ، وقال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن

وعلمه^(١)، فهي خيرية وشرف لحامل القرآن بشهادة الرسول الكريم، وإن هذا القرآن الذي يعرف اليهود قيمته ومنزلته زاد كثيراً منهم حقداً وحسداً لهذا الرسول ولهذه الأمة جاوزوا به الحد طغياناً وجاوزوا به الحد كفراً، فالقرآن منزل إليهم مع غيرهم وليسوا خارجين عن التكليف الذي دعا إليه وما جاءت به التوراة والإنجيل حقاً من عند الله تعالى وأن القرآن مصدق لما جاء قبله.

- بيان أن الإسلام يجب ما قبله: بينت الآيات أن الإسلام يجب ما قبله من ذنوب مهما كثرت لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥] ، فهو وعد إلهي لليهود والنصارى فلو أنهم آمنوا واتقوا لأنجزه لهم قطعاً وهو لا يخلف الميعاد.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من تعلم القرآن وعلمه، ح (٥٠٢٧)، ١٩٢/٦.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث

من الحزب الثاني عشر الآيات (٦٧-٨١)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٦٧-٧١) من سورة المائدة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٧٢-٧٥) من سورة المائدة.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٦-٨١) من سورة المائدة.

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (٦٧-٧١) من سورة المائدة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عصمة الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب للإيمان برسالة محمد ﷺ.

المطلب الثالث: ثمة الاستقامة على دين الله ﷻ.

المطلب الرابع: طبيعة بني إسرائيل وضلالتهم.

المطلب الأول

عصمة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

أولاً: مناسبة الآية لما سبق:

بعد أن بين ﷺ في الآيات السابقة ما كان عليه أعداء الإسلام وخصوصاً اليهود من محاولات لفتنة الرسول ﷺ ومن دسائس حاكوها لعرقلة سير الدعوة الإسلامية ومن استهزاء بتعاليم الدين ومن حقد على المؤمنين لإيمانهم برسول الله وكتبه ومن سوء أدب مع خالقهم ورازقهم، بعد أن حكى الله تعالى كل ذلك، أتبعه بتوجيه نداء إلى الرسول ﷺ وأمره بتبليغ الدين دون أن يلتفت إلى مكر الماكرين أو حقد الحاقدين فإنه ﷺ قد حماه وعصمه منهم (١).

ثانياً: سبب نزول الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾:

رُوي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل فقد كذب، وهو يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٢).

وعن الحسن البصري: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله بعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبنني، فنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ... ﴾ (٣).

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما نزلت: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك قال: يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي فنزلت: وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٤).

(١) انظر: التفسير المنهجي، ٨٢-٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، ح (٤٦١٢)، ٥٢/٦، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى ﴾ [النجم: ١٣]، ح (٣٥٨)، ١١٠/١.

(٣) مسند احمد، ح (٢٨١٩)، ٢٨/٥، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، أسباب النزول، للواحدي، باب سورة المائدة، ح (٤٠٢)، ٢٠٤/١، والحديث ملفق من عدة أحاديث، انظر: الكشاف، ٦٥٩/١، لباب التأويل، ٦٢/٢، الدر المصون، ٣٥٢/٤، الدر المنثور، ١١٦/٣-١١٧، الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣٠٢١)، ٤٨/٧، وروى الحسن البصري مرسلًا إلى النبي ﷺ.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم عن مجاهد، (٦٦١٣)، ١١٧٣/٤، جامع البيان (١٢٢٧٢)، ٤٦٨/١٠، فتح القدير، ٦٩/٢، الدر المنثور، ١١٧/٣.

عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يُحرس، وكان يرسل معه أبو طالب رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾، قال: فأراد عمه أن يرسل مَعَهُم من يحرسه فقال: يا عم إن الله قد عصمني من الجن والإنس (١).

وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحرس، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رأسه من القبة، وقال: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله) (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، وقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: الله يمنعني منك، ضع السيف، فوضعه فنزلت والله يعصمك من الناس (٣).

وروى ابن مردويه عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ: أي آية من السماء أنزلت أشد عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس (أي لا يعلم ممن هم) فنزل علي جبريل فقال: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك الآية، فقامت عند العقبة، فقلت: أيها الناس، من ينصرني على أن أبلغ رسالات ربي ولكم الجنة؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم، تفلحوا ولكم الجنة، قال ﷺ: فما بقي رجل ولا أمة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة ويقول: كذاب صابئ، فعرض علي عارض، فقال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وانصرني

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة المائدة (٣٠٤٦)، ٢٣٥/٥، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، أسباب النزول، (٤٠٤)، ٢٠٥/١، الطبراني، (١١٦٦٣)، ٢٥٦/١١، المستدرک للحاكم، ٣١٣/٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، ح (٣٠٤٦)، ٢٥١/٥، وقال: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الله بن شقيق قال: كان النبي ... ولم يذكروا ابنه : عن عائشة. وصححه الحاكم في المستدرک، ٣١٣/٢، من هذه الطريقة نفسها، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبري في التفسير، ٤٦٩/١٠، وقال الحافظ بن حجر في الفتح: "وإسناده حسن، واختلفوا في وصله وإرساله". انظر: الدر المنثور، ١١٩/٣، أسباب النزول، (٤٠٤)، ٢٠٥/١ من حديث عائشة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند الفائلة والاستقلال بالشجر، ح (٢٩١٣)، ٤٠/٤، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، ح (٨٤٣)، ١٧٨٦/٤.

عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، ف جاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه (١).

كل هذه الروايات تدل على أن الآية مكية وسورة المائدة من آخر السور نزولاً إن لم تكن آخرها نزولاً، قال السيوطي: وهذا يقتضي أن الآية مكية والظاهر خلافه (٢)، ويقول ابن عاشور: "كل ذلك كان قبل نزول هذه الآية والذين جعلوا بعض ذلك سبباً لنزول هذه الآية قد خلطوا (٣)، وقال الفخر الرازي بعد أن ذكر عشرة أقوال في سبب نزولها: "واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت فإن الأولى حمل الآية على أن الله آمنه مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم" (٤).

وهذا الذي قاله الإمام الرازي هو الذي تسكن إليه النفس أي أن الآية الكريمة ساقها الله تعالى لتثبيت النبي ﷺ وتقوية قلبه وأمره في تبليغ رسالته بدون خوف من أعدائه الذين حدثه عن مكرهم به وكرهاتهم له حديثاً مستفيضاً وقد بشره ﷺ في هذه الآية بأنه حافظه من مكرهم وعاصمه من كيدهم (٥).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

(الرسول): ذَكَرَ من بني آدم أوحى إليه شرع وأمر تبليغه وهو هنا محمد ﷺ (٦).

(بلغ ما أنزل إليك): التبليغ: إعلان الدعوة الإسلامية، أي بلغ ما أنزل إليك من التوحيد والشرائع والأحكام (٧).

(يعصمك): عصم يعصم عصماً، فهو عاصم، وعصمه الله من المكروه: منعه وحفظه ووقاه (٨).

والعصمة: معناها في كلام العرب المنع (٩)، وهي الحفظ والرعاية، والوقاية من اغتيال المشركين، وهو مأخوذ من عصام القرية وهو ما يربط به فمها من خيط أو سير جلد يمنعها من تهريب ما

(١) انظر: الأحاديث المختارة، ١٣/٢، الدر المنثور، ١١٧/٣، فتح القدير، ٦٩/٢.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٣٢٣/٤، التحرير والتنوير، ٢٥٩/٦.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٥٩/٦.

(٤) مفاتيح الغيب، ٤٠١/١٢.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٢٣/٤.

(٦) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ١٧٩/١، الرسل والرسالات، ص ١٤.

(٧) انظر: التفسير المنير، ٢٥٨/٦، أيسر التفاسير، ٦٥٣/١.

(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٥٠٩/٢.

(٩) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٤٧٠/١، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ٢٢١/١.

بداخلها^(١).

وقال ابن العربي: "قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ معناه يجعل بينك وبينهم حجاباً يمنع من وصول مكروههم إليك كعصام القرية الذي يمنع سيلان الماء منها، ولعلمائنا تأويلات أصحها: أن العصمة عامة في كل مكروه"^(٢).

من الناس: المراد به الكفار من اليهود والمنافقين والمشركين^(٣).

الجوانب البلاغية:

قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ فيها تعظيم الرسول بنداؤه بالرسول، أما الأنبياء الآخرين فناداهم بأسمائهم فقط، مثل قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨]^(٤).

قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: إيماء عظيم إلى تشريف الرسول ﷺ بمرتبة الوساطة بين الله والناس إذ جعل الإنزال إليه ولم يقل إليكم أو إليهم، كما قال في آل عمران ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وفي تعليق الإنزال بأنه من الرب تشريف للمنزل^(٥).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ افتتح باسم الجلالة للاهتمام به؛ لأن المخاطب والسامعين يترقبون عقب الأمر بتبليغ كل ما أنزل إليه أن يُلاقي عنثاً وتكالباً عليه من أعدائه فافتتح تطمينه بذكر اسم الله، والآية تضمنت معجزة كبرى للنبي ﷺ فقد عصم حياة الرسول ﷺ عن أن يصيبها قتل أو إهلاك على أيدي الكافرين والحاقدين، وأتى بلفظ يعصمك لأن المضارع يدل على الديمومة والاستمرار^(٦).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سبب عدم هدايتهم هو كفرهم والمراد بالهداية هنا لا يعينهم على بلوغ غرضهم وتسديد أعمالهم وإتمام مرادهم، ولا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك، وليس المراد الهداية في الدين وإلى الجنة لأن السياق غير صالح له، فهم بسبب كفرهم

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب، ٤٥٨٠/٧، الجواهر الحسان، ٤٠٤/٢، مجمع بحار الأنوار، ٦٠٩/٣، تاج

العروس، ١٠٠/٣٣، تفسير غريب القرآن، ٦٧/٥.

(٢) الجواهر الحسان، ٤٠٥/٢.

(٣) انظر: مدارك التنزيل، ٦٤٢/١، المراغي، ١٦٠/٦، التحرير والتنوير، ٢٦٤/٦، صفوة التفاسير، ٣٤٨/١.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٨٥/٦.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ٢٥٩/٦، ٢٦٠.

(٦) انظر: البحر المحيط، ٣٢٣/٤.

حجبا رحمة الله عنهم (١).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن عرض الله ﷺ أهل الكتاب في هذه المعارض المختلفة في زيفهم وطغيانهم وفيما أخذوا به من نقمة وبلاء كان هذا النداء الكريم لنبيه الكريم يا أيها المرسل من الله تعالى أخبر الناس بكل ما أوحى إليك من ربك وادعهم إليه ولا تخش إلا الله تعالى، فقد كلفك بتبليغ جميع ما أرسلت به وهو يحفظك من كيد أعدائك ويمنعك من أن تعلق نفسك بشيء من شبهاتهم واعتراضاتهم ويصون حياتك عن أن يعتدي عليها أحد بالقتل أو الإهلاك، وقد قام النبي ﷺ بما أمره الله تعالى به دون زيادة أو نقص وحفظه الله من كل المؤامرات التي حيكته ضده.

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة معجزة كبيرة للنبي ﷺ فقد عصم حياة رسوله ﷺ عن أن يصيبها قتل أو إهلاك على أيدي الكافرين والحاقدين مهما دبروا له من كيد ومكر (٢).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- عصمة الرسول من الهلاك والقتل: بينت الآية معجزة كبرى للنبي ﷺ فقد قررت الآية وعد الله ﷺ بعصمة حياة الرسول ﷺ من أن يُصيبها قتل أو إهلاك على أيدي الكفار، فحماه الله تعالى وهو نائم وحماه وهو يجاهد، وهذه العصمة لنبيه من أكبر الشواهد والدلائل على قدرة الله ﷻ فالله معه وحافظه وحميه من شر الأشرار وكيد الفجار فلن تمتد إليه يد بسوء؛ لأنه في حفظ الله ورعايته.

- بيان أن الرسول لم يكتم شيئاً مما أمر بإبلاغه: الآية دلت على أنه ﷺ لم يُسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله إليه شيئاً، ولهذا ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب (٣)، وفي صحيح البخاري من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي (٤)، قال: قلت لعلي بن أبي طالب ؓ: هل عندكم شيء من

(١) انظر: النكت والعيون، ٥٤/٢، الكشاف، ٦٦٠/١، زاد المسير، ٥٦٩/١، البحر المحيط، ٣٢٤/٤، التحرير والتوير، ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) انظر: بحر العلوم، ٢٠٦/١، فتح البيان، ١٩/٤، المراغي، ١٥٨/٦، بيان المعاني، ٣٤٩/٦.

(٣) سبق تخريجه، انظر: ص ٩٩.

(٤) أبو جحيفة السوائي الكوفي صاحب رسول الله ﷺ واسمه: وهب بن عبد الله بن مسلمة ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة، ولما توفي ﷺ كان وهب مراهقاً من أسنانه عبد الله بن عباس، وكان صاحب شرطة علي ؓ حدث عن النبي وعن علي والبراء، روى عنه علي بن الأقرم والحكم بن عتبة وسلمة بن كهيل =

الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر (١).

- إبطال شبه الرافضة بأن الرسول كتم شيئاً من أمر الدين تقيّة: أراد المولى ﷺ من خلال هذه الآية قطع تخرص من قد يزعمون أن الرسول ﷺ قد استبقى شيئاً لم يُبلّغه أو أنه قد خصّ بعض الناس بإبلاغ شيء من الوحي لم يبلغه للناس عامة، فهي أقطع آية لإبطال قول الرافضة بأن القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر، ونسخه عثمان، وأن الرسول اختص بكثير من القرآن عليّ بن أبي طالب وأنه أورثه أبناءه، وأنه يبلغ وقرّ بعير، وأنه اليوم مختزن عند الإمام المعصوم الذي يلقيه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوحي (٢).

- تأديب للنبي ﷺ والعلماء: قال ابن عباس: "المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته"، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه (٣). ويستفاد أن الدين وحدة متكاملة، وكلّ لا يتجزأ يشمل جميع مناحي الحياة ... الخ.

- حماية الله لأنبيائه ﷺ: فالآية تذكر بحماية الله لإبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار فلا تحرقه، وحمايته لإسماعيل عليه السلام وأبوه يمرر السكين على حلقه فلا تذبح، وكذلك ينجي الله المؤمنين فهذه الآية تثبيت للوعد وإدامة له وأنه لا يتغير مع تغير صنوف الأعداء.

= وولده عون بن أبي جحفة وإسماعيل بن أبي خالد وآخرون، وكان عليّ إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره قبض رسول الله ﷺ ولم يبلغ اللحم، وقد رآه وسمع منه، وقال: كنت أبري له النبل وأريشها، وتوفي سنة ٧٤هـ بالكوفة في ولاية بشر بن مروان، ويقال: عاش إلى ما بعد الثمانين وحديثه في الكتب الستة، وآخر من حدث عنه ابن أبي خالد. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٦)، (٣٠٢/٤)، الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٩٦٦)، (١٢٩/٦)، التاريخ الكبير، البخاري (٢٥٥٨)، (١٦٢/٨)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي (٩٩)، (٢٢/٩)، رجال صحيح مسلم، ابن منجويه (١٧٥٧)، (٣٠٥/٢)، معرفة الصحابة، أبو نعيم (٦٤٩٥)، (٢٧٧٢/٥)، الاستيعاب، ابن عبد البر (٢٧٣٢)، (١٥٦١/٤)، (٢٨٩١)، (١٦١٩/٤)، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٤٠٥/٢٣)، أسد الغابة، (٥٧٥٩)، (٤٧/٦)، تهذيب الكمال، المزي، (١٣٣/٣١)، الإصابة، ابن حجر، (٩١٨٧)، (٤٩٠/٦)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح (١٤٣١)، (١١٩٢/٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ح (١١١)، ٣٣/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٠/٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٢/٦، التفسير المنير، ٢٦٥/٦.

- **تعظيم للرسول ﷺ**: خاطب الله ﷻ الرسول في بداية الآية بصفة الرسالة ومن عظمة رسولنا المصطفى ﷺ وعلو مكانته عند من اصطفاه خاتماً لرسالاته في الأرض أن الله ذكر الرُّسُل في خطابه لهم بأسمائهم فقط كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣] ، وقوله تعالى: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التقصص: ٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ١١٦] ، وقوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾ [هود: ٤٨] ، ف سبحانه ينادي كل رسول له بالاسم المشخص للذات بصرف النظر عن أي صفة، لكن رسول الله ﷺ ناداه باسمه كقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الفتح: ٢٩]، وزاد عليهم بأن قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ ﴾ [المائدة: ٤١] ، أو قوله الحق: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ [الأَنْفَال: ٦٤] ، فكأنك يا رسول الله قد اجتمعت فيك كل مسائل الرسالة لأنك صاحب الدين الذي سينتهي العالم عنده ولا يكون بعد ذلك لله في الأرض رسالة إلا فهم يؤتية الله لأحد في كتاب الله.

ومن عظمة الرسول ﷺ أن الله أقسم بحياته على الرغم من أن الحق لا يقسم بحياة أحد من البشر إلا رسوله فقد أقسم بحياته (١).

المطلب الثاني

دعوة أهل الكتاب للإيمان برسالة محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨] .
أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

أمر الرسول ﷺ بأن لا ينظر إلى قلة المقصرين المعتدلين وكثرة الفاسقين من أهل الكتاب ولا يخشى مكروههم، فقال: بلغ أي واصبر على تبليغ ما أنزلته إليك من كشف أسرارهم وفضائح أفعالهم، فإن الله يعصمك من كيدهم ويصونك من مكروهم ثم أمر بأن يصارح أهل الكتاب بما هم عليه من باطل وأن يدعوهم إلى اتباع الحق الذي جاء به لأن الانتساب إلى الأديان لا ينفع أهلها إلا إذا عملوا بها (٢).

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٨٥/٦.

(٢) انظر: تفسير المراغي، ٣١٠/٦، التفسير المنير، ٢٦٠/٦.

ثانياً: سبب نزول الآية:

قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألسنت نُقِرُّ أن التوراة حقٌّ من عند الله؟ قال: بلى، قالوا: فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداه فنزلت الآية (١).

وروى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا: يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق؟ فقال النبي ﷺ: (بلى ولكنكم أحدثتم وحدثتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكفرتم منها بما أمرتم أن تبيئوه للناس، وأنا بريء من أحداثكم)، قالوا: فإننا نأخذ بما في أيدينا فإننا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي لا اعتداد بما تفعلون فكله باطل، "والشيء": هو اسم لكل موجود، فهو اسم متوغل في التكرير صادقٌ بالقليل والكثير، ويبينه السياق أو القرائن فالمراد هنا شيء من أمور الكتاب (٣).

قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: أي لا تأسف ولا تحزن، من أَسِيَ يَأْسُ، أَسَى إِذَا حَزَنَ وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فِرَاطِ الْأَسَى (٤).

الجوانب البلاغية:

قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فيه تحقير لأهل الكتاب وتصغير ما لا غاية وراءه، أي لا تحزن إذا لم يؤمنوا ولا تبال، وفيه تسلية للنبي ﷺ وليس بنهي عن الحزن؛ لأنه لا يقدر عليه ولكنه تسلية ونهي

(١) انظر: جامع البيان، ٤٧٣/١٠، ح (١٢٢٨٤)، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/٦.

(٢) انظر: جامع البيان، ٤٧٤/١٠، سيرة ابن هشام، ٥٦٨/١، باب نهيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم.

(٣) انظر: التحرير والتوير، ٢٦٥/٦، التفسير المنهجي، ص ٨٥.

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٥٩/٣، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/٦، شمس العلوم، ٢٦٢/١، الكليات،

٩٧٥/١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٩٧/١.

عن التعرض للحزن^(١).

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: الفاء الفصيحة لتتم التسلية لأن رحمة الرسول بالخلق تحزنه مما بلغ منهم من زيادة في الطغيان والكفر فنبهت الفاء الفصيحة على أنهم ما بلغوا إلا جراء الحسد للرسول فحقيق أن لا يحزن لهم^(٢).

قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أضاف الاسم الجليل إليهم تلطفاً معهم في الدعوة^(٣).

قوله: ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: ذكر لفظ القوم وأتبع بوصف الكافرين ليدل على أن المراد بالكافرين هم الذين صار الكفر لهم سجية وصفة تنقوم بها قوميتهم.

ولو لم يذكر القوم وقال: "فلا تأس على الكافرين" لكان بمنزلة اللقب لهم فلا يُشعر بالتوصيف، فكان صادقاً بمن كان الكفر غير راسخ فيه بل هو في حيرة وتردد، فذلك مرجو إيمانه^(٤).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أمر الله ﷺ نبيه ﷺ في الآيات السابقة بتبليغ الرسالة وبيان عصمته له ﷺ أمره أن يصارح أهل الكتاب بما هم عليه من باطل وأن يدعوهم إلى اتباع الحق الذي جاء به، وأمره ليقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين امتدت أيديهم إلى كتبهم بالتغيير والتبديل: إنكم لستم على شيء يعتد به من الدين أو العلم أو المروءة، ولن تكونوا على دين صحيح إلا إذا أعلنتم جميع الأحكام التي نزلت في التوراة والإنجيل، وعملمت بها، وآمنت بالقرآن الموحى به من الله تعالى إلى رسوله ﷺ لهداية الناس؛ لأن ذلك مما يُصدِّقه الإنجيل والتوراة.

ولتتقن أيها الرسول الكريم ﷺ أن معظم أهل الكتاب سيزدادون بالقرآن الموحى إليك ظلماً وكفراً، وسبب ذلك أنهم كلما علموا منه شيئاً كفروا به وكذبوه، ولأن نفوسهم لا تميل إلى الخير، إنما تتحدر نحو القوم الكافرين، فإنهم هم الذين استحباوا العمى على الهدى، وفي المؤمنين غنى لك

(١) انظر: تفسير ابن عطية، ٢١٨/٢، تفسير أبي السعود، ٦١/٣، التفسير المنير، ٢٦٠/٦، التفسير الحديث، ١٧٨/٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٧/٦.

(٣) انظر: صفوة التفاسير، ٣٣٢/١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٧/٦.

عنهم (١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- العبرة بالإيمان والانتساب إلى الإسلام: الانحراف عن الدين باطل ولا ثمرة له، فأهل الكتاب ليسوا على دين أو على هدى ما لم ينفذوا ما في التوراة والإنجيل، فهم لا يقيمون دين الله فلا حفظوا نصوص الكتاب المنزلة، ولا تركوا ما عندهم على ظواهرها بل أولوها تأويلاً فاسداً، فالتوراة والإنجيل يأمرانهم باتباع النبي محمد ﷺ ودينه ولكنهم لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر ولا عملوا الصالحات، ومن لم يتبع دين محمد ﷺ فلن يقبل منه دين، والله يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، فالعبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي لا بالانتساب إلى دين من الأديان.
- القرآن هو المنهج الكامل: العبرة للمسلم من هذه الآية أن يعلم أنه لا يكون على شيء يعتد به من أمر الدين حتى يقيم القرآن فيهندي بهديه ويلتزم بحدوده.
- كفر أهل الكتاب حسداً وعناداً ومكابرة: أهل العناد والمكابرة لا تزيدهم الأدلة والبراهين إلا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفراً إلا من آمن منهم بالنبي محمد ﷺ واتبع ما جاء به من الدين الحق فحسد أهل الكتاب للنبي ﷺ زادهم طغياناً وكفراً فإله ﷻ يزيد الكافرين كفراً على كفرهم ويزيدهم طغياناً وظلماً.
- أهل الكتاب لن يؤمنوا إلا إذا نفذوا أحكام التوراة والإنجيل: أمر الله نبيه محمداً ﷺ في هذه الآية بأن يقول لأهل الكتاب إنهم لن يكونوا على شيء من الهدى والحق والصواب وأسباب النجاة إلا إذا نفذوا أحكام التوراة والإنجيل، وأقاموا على أحسن وجه، ثم آمنوا واتبعوا ما أنزل عليه أيضاً لأن النبي واسطة من الله إليهم به.
- تسلية النبي ﷺ: الله يسلي رسوله الكريم على عدم اتباعهم ما في كتبهم فلا ينبغي له أن يحزن ويعبأ بموقف الكافرين وغاية خبثهم في ذواتهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وأن المؤمنين في غنى عنهم.

(١) انظر: لباب التأويل، ٦/٢، تفسير المراغي، ١٦٠/٦، أوضح التفاسير، ١٣٩/١، التفسير الواضح، ٥٣٧/١،

الموسوعة القرآنية، ٣٩٤/٩، زهرة التفاسير، ٢٢٩١/٥، التفسير المنهجي، ص ٢٨٦.

المطلب الثالث

ثمرة الاستقامة على دين الله ﷻ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].
أولاً: مناسبة الآية لما سبق:

بعد أن كشف الله تعالى تلك الحقيقة المهمة أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك وضع القرآن قانوناً عاماً لكل الناس وهو أن الناس أمة سواء وأنه لا تفاضل بينهم إلا بالإيمان والعمل الصالح وأن الإيمان الحق يقطع ما قبله من عقائد زائفة وأفعال سيئة.
ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: هم الذين صدقوا الله ورسوله وهم أهل الإسلام^(١)، وقيل "الذين آمنوا": الإيمان هنا هو الإيمان اللفظي أي باللسان، وليس بالقلب، والمتصفون بذلك هم المنافقون^(٢).
وتأويل الجمهور هو لفظ عام لكل مؤمن من ملة نبينا محمد ﷺ ومن غيرها من الملل^(٣).
﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: هاد هوداً: تاب ورجع، هم من دانوا باليهودية ودخلوا فيها^(٤)، هم أتباع موسى وهم اليهود^(٥).

(صبا): خرج من دين إلى دين^(٦)، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ ليسوا أتباعاً لأحد فقد كانوا أتباعاً لنوح ثم صبأوا عن ديانة نوح وعبدوا الكواكب، أو هم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، والمجوس هم عبدة النار^(٧).

(١) انظر: جامع البيان، ٤٧٦/١٠، تفسير ابن عباس، ٩٨/١، المنتخب، ١٥٩/١.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٩٦/٦.

(٣) انظر: الجواهر الحسان، ٤٠٦/٢.

(٤) المعجم الوسيط، ٩٩٨/٢، تهذيب اللغة، ٢٠٦/٢، لسان العرب، ٢٣٩/٣.

(٥) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٩٦/٦.

(٦) مختار الصحاح، ١٧٢/١، مفتاح العلوم، ٥٥/١، المحكم والمحيط الأعظم، ٣٥٤/٨.

(٧) انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٩٦/٦.

﴿وَالنَّصَارَى﴾: هم أتباع عيسى (١).

الجوانب البلاغية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ افتتحت الآية بحرف إن هنا للاهتمام بالخبر.

التصدير بذكر الذين آمنوا في طالعة المعدودين، لأن المسلمين هم المثال الصالح في كمال الإيمان والتحرز من الغرور وعن تسرب مسارب الشرك إلى عقائدهم فكان المسلمون لأنهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح أولين في هذا الفضل (٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن أساس النجاة يوم القيامة هو الإيمان بالله واليوم الآخر وما يستتبع ذلك من أفعال طيبة وأعمال صالحة، وقد ذكر ﷻ أربع فرق من الناس وهم المؤمنون من هذه الأمة واليهود والصابئة والنصارى، كل أولئك لو أخلصوا في الإيمان بالله تعالى وصدقوا بالبعث والجزاء وعملوا الأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام، فهم في مأمن من العذاب وفي سرور بالنعيم يوم القيامة.

وهذه الآية مسوقة للترغيب في الإيمان والعمل الصالح ببيان أن كل من آمن بالله واليوم الآخر واستمر في هذا الإيمان وهذا الاتباع إلى أن فارق الحياة بأن الله تعالى يرضى عنه ويثيبه ثواباً حسناً ويتجاوز عما فرط منه من ذنوب؛ لأن الإيمان الصادق يجب ما قبله من عقائد وأعمال زائفة باطلة وأقوال فاسدة (٣).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- **التفاضل عند الله بالعمل الصالح:** بينت الآية أن الناس أمام الله تعالى سواءً وإنما يتفاضلون بما يقدمون من عمل صالح فأساس النجاة يوم القيامة هو الإيمان بالله واليوم الآخر وما يستتبع ذلك من أفعال طيبة وأعمال صالحة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) القاموس الفقهي، ٣٥٤/١، مجمع بحار الأنوار، ٧١٣/٤، انظر: تفسير الشعراوي، ٣٢٩٦/٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٨/٦.

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٥٩/٣، بحر العلوم، ٤٠٧/١، لباب التأويل، ٦٤/٢، تيسير التفسير، للقطان،

٤٢٢/١، التفسير المنهجي، ص ٧٦.

- **الترغيب في الإيمان والعمل الصالح:** جاءت الآية ترغيباً في الإيمان والعمل الصالح ببيان أن كل من آمن بالله واليوم الآخر واتبع ما جاء به النبي ﷺ واستمر على هذا الإيمان وهذا الاتباع إلى أن فارق هذه الحياة، فإن الله تعالى يرضى عنه ويثيبه ثواباً حسناً ويتجاوز عما فرط منه من ذنوب لأن الإيمان الصادق يجب ما قبله من عقائد زائفة وأعمال باطلة وأقوال فاسدة.
- **بيان فضل المسلمين على غيرهم:** تصدر ذكر الذين آمنوا في طاعة المعدودين في الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأن المسلمين هم المثال الصالح في كمال الإيمان والتحرز عن الغرور وعن تسرب مسارب الشرك إلى عقائدهم كما بشر بذلك النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع بقوله: (إن الشيطان قد ينس أن يعبد من دون الله في أرضكم هذه) ^(١)، فكان المسلمون - لأنهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح - أوليين في هذا الفضل ^(٢).

المطلب الرابع

طبيعة بني إسرائيل وضلالاتهم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠-٧١].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن فتح الله تعالى باب القبول على اليهود والنصارى والصائبين وبين كيف فتح الباب لهم من قبل ولكن غلقه على أنفسهم فذكر ﷺ كيف أخذ عليهم الميثاق وأرسل الرسل ليسهل عليهم

(١) سنن ابن ماجة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه، باب الخطبة يوم النحر، ح (٣٠٥٥)، ٢٤٣/٤، وقال صحيح لغيره وهذا إسناد حسن، ط الأرنؤوط من الشواهد، سليمان بن عمرو بن الأحوص، وروى عنه اثنان وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجاله ثقات، وقال الألباني: حديث صحيح، سنن الترمذي (٢١٥٩)، ٤٦١/٤، وقال حسن صحيح، والنسائي، السنن الكبرى يوم الحج الأكبر (١١١٤٩)، ١١١/١٠، ومسند أحمد (٨٨١٠)، ٤٠٩/١٤. ولفظ (إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا) حديث جابر عن مسلم باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه (٢٨١٢)، ٢١٦٦/٤، الألباني: مشكاة المصابيح (٧٢)، ٢٧/١ وقال: صحيح رواه مسلم، والسلسلة الصحيحة (٤٧١)، ٨٤٢/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٨/٦.

تتفيذ هذا الميثاق ولكنهم لسوء طباعهم ارتكبوا الرذائل فكذبوا رسلهم واعتدوا عليهم^(١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

الميثاق: العهد الموثق الذي أخذه الله عليهم بواسطة أنبيائهم^(٢).

فتنة: بلاء وعذاب وامتحان، وأصلها إدخال الذهب والفضة النار لينظر جودته، والفتان الشيطان^(٣).

فعموا وصموا: عطلوا أعينهم عن العبر وآذانهم عن سماع المواعظ^(٤).

الجوانب البلاغية:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: صيغة المضارع بدل الماضي "بما عملوا" لحكاية

الحال الماضية استحضاراً لصورتها الفظيعة ومراعاة لرؤوس الآيات^(٥).

وكذلك قوله: ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ يقتلون: بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية

لاستحضار تلك الحالة الفظيعة والتعجيب من شناعة فاعليها، وأنه ما زال القتل ديدنهم^(٦).

قوله تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾: استعارة حيث استعار العمى والصمم للإعراض عن الهداية

والإيمان^(٧).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى

أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا

وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ في الآيتين السابقتين إشارة تنديدية وتعقيب وإنذار إلى

(١) انظر: زهرة التفاسير، ٢٢٩٨/٥، أضواء البيان، ٤١٧/١.

(٢) تاج العروس، ٤٥٥/٨، لسان العرب، ٣١١/٣، مشارق الأنوار، ٢٧٩/٢، تهذيب اللغة، ٩٨/١، انظر: تفسير

العز بن عبد السلام، ٣٩٨/١، الوسيط، لطنطاوي، ٢٣١/٤.

(٣) مختار الصحاح، ٢٣٤/١، مجمل اللغة، ابن فارس، ٧١١/١، انظر: تفسير الراغب، ٤٠٧/٥.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، ٦٥٦/١، الوسيط، لطنطاوي، ٢٣١/٤.

(٥) انظر: محاسن التأويل، ٢٠٩/٤، إرشاد العقل السليم، ٦٥/٣.

(٦) انظر: محاسن التأويل، ٢٠٨/٤.

(٧) انظر: التحرير والتنوير، ٢٧٥/٦، صفوة التفاسير، ص ٣٣٢.

مواقف بني إسرائيل من الرسل الذين يأتونهم من قبل الله وتقرير لواقع حالهم ^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ولم يقل: قتلوا لأن التكذيب كان لجميع الرسل وانتهى، فجاء بصيغة الماضي، أما القتل فجاء بصيغة المضارع؛ ليفيد التجدد والاستمرار، وأنه ما زال ديدنهم ومستمرًا.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

تستمر الآيات في فضح اليهود وبيان ردائلهم، فقد أقسم الله ﷻ على أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل وذلك في التوراة بأن يعبدوا الله وحده بما شرع لهم، فيطيعوه في أمره ونهيه وأرسل إليهم رسلاً ليبينوا لهم أحكام الله تعالى ويؤكدوا عهد الله عليهم، ولكنهم نقضوا الميثاق وعصوا الرسل، فكانوا كلما جاءهم رسولٌ بما لا تشتهيهم نفوسهم الشقية وبما لا تميل إليه قلوبهم الردية ناصبوه العداة فكذبوا بعض الرسل وقتلوا بعضهم وممن حاولوا قتله عيسى عليه السلام، كما حاولوا قتل رسول الله ﷺ غير أن الله نجاهما منهم، وحسبوا ألا يؤاخذهم الله بذنوبهم فعموا عن الحق وصموا عن سماع المواعظ فابتلاهم ربهم وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب، ثم تاب عليهم فتابوا واستقام أمرهم وصلحت أحوالهم ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة أخرى وصاروا كالعمى الصم، والله مطلعٌ عليهم مشاهد لأعمالهم ومجازيهم عليها ^(٢).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- بيان فساد عقول بني إسرائيل: بينت الآيات أن الله أخذ الموائيق على بني إسرائيل في التوراة بأن يتبعوا أحكامها ولا يكتموها وأرسل الله تعالى إليهم رسلاً كثيراً حتى يبينوا لهم الأحكام ويؤكدوا عهد الله عليهم فنقضوا العهود والموائيق وعصوا الرسل وكذبوهم ولم يكتفوا على الآخرين بالتكذيب بل أضافوا إلى ذلك أن قتلوا بعضهم وذلك لأنهم جاؤهم بما يخالف هواهم ويتعارض مع أنانيتهم وشرهم ومطامعهم الباطلة.

- الترهيب من مصير الأمم إذا استحوذ عليهم الشيطان: الأمم عندما تتحرف يصير الباطل عندها حقاً والصديق عدواً هذا شأن الأمم إذا تطرق إليها الخذلان واستحوذ عليها الشيطان فأفسد اعتقادهم واختلط إيمانهم ويصير همهم مقصوراً على تدبير عاجلتهم وتغلب عليهم حب الشهوات وضعف الوازع الديني في نفوسهم، إنهم في هذه الحالة يصير همهم مقصوراً على تدبير شئون دنياهم فإذا ما وجدوا منها مآكلهم ومشربهم وملذاتهم أغمضوا أعينهم عن آخرتهم،

(١) انظر: التفسير الحديث، ١٩٠/٩.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ٨٢/٣-٨٣، لباب التأويل، ٦٥/٢، تفسير المراغي، ١٦٣/٦، المنتخب في تفسير القرآن

الكريم، ١٥٩/١، التفسير القرآني للقرآن، ١١٤٨/٣.

بل ربما استهانوا وتهكموا بمن يذكرهم بها فتكون نتيجة إيثارهم الدنيا على الآخرة الشقاء والتعاسة.

- **التسرية عن النبي ﷺ:** اشتملت الآية على معنى من معاني التسرية عن النبي ﷺ فإذا كان اليهود قد وقفوا منه المواقف الخبيثة والجاحدة التي وقفوها والتي تحدثت عنها الآيات السابقة فإن ذلك دين أبائهم من قبلهم فلا محل لهم والحزن والفساد، ونقض المواثيق والعهود صفة متجذرة عند اليهود توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

- **إظهار بشاعة اليهود بتكذيب الرسل وقتلهم:** أظهرت الآية فظاعة حال بني إسرائيل في سوء معاملتهم لهذاتهم فهم يكذبون الرسل أو يقتلونهم وذلك لمجرد مخالفة هوى أنفسهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق، واستمرار صنيعهم ذلك مع جميع الرسل في جميع الأوقات دليل على أن التكذيب والقتل صارا سجيتين لهم لا تتخلفان إذ لم ينظروا إلى حال رسول دون الآخر ولا إلى زمان دون الآخر وذلك أظهر في فظاعة حالهم.

- **بيان سوء اعتقاد اليهود:** تبين من خلال الآيات فساد اعتقاد اليهود الناشئ عن فساد أعمالهم أي أنهم فعلوا ما فعلوا من الفظائع عن تعمد بغير رور لا عن فلتة أو نائفة نفس حتى ينيبوا ويتوبوا، وظنوا أن الله لا يصيبهم في الدنيا جزاء على ما عاملوا به أنبياءهم ولن تنزل بهم مصائب في الدنيا، فأمنوا عقاب الله في الدنيا بعد أن استخفوا بعذاب الآخرة وتوهموا أنهم ناجون منه، وذلك لأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، فسوء اعتقادهم في جزاء الآخرة جعلهم لا يرقبون الله في ارتكاب القبائح.

- **الوعيد لبني إسرائيل على جرائمهم:** لا بد من حساب ولا بد من عقاب لكل جريمة فالله ﷻ يمهل ولكنه لا يمهل ليتوب العباد وإلا فالعقاب لهم فعموا عن طريق الحق فلم يسلكوه وصموا آذانهم عن سماع الحق ولم يصغوا إليه.

وحسب بنو إسرائيل أن إمهال الله لهم أن ليس وراءه عقاب فزاد التمادي في التعالي والتصامم فالله هو العليم بكل ما يقع من أفعالهم القبيحة وتذليل الآية بقوله ﷻ ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ هو إنذار وتذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء فهو وعيد لهم على ما ارتكبوه بعد أن تاب عليهم وهم تحت رقابة الله تعالى ورصده وهو بصير بما يعملون.

- **اليهود جبلوا على نقض العهود:** بنو إسرائيل لا تلتزم بالمواثيق ولا العهود المبرمة معهم وذلك بشهادة الحق ﷻ: ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٠]، وفيه رسالة إلى الحكام

وكل من يبرم الاتفاقات والمعاهدات والتنسيق الأمني مع اليهود بأن اليهود لا عهد لهم.

- لا تخلوا أمة ضالة في كل جيل من وجود صالحين فيها: قوله ﷺ كثير منهم قصد منه تخصيص أهل الفضل والصلاح منهم في كل عصر بأنهم برآء مما كان عليه دهماؤهم صدعاً بالحق وثناءً على الفضل فمن الضروري أنه لا تخلو أمة ضالة في كل جيل من وجود صالحين فيها فقد كان في المتأخرين منهم أمثال عبد الله بن سلام وكان من المتقدمين يوشع وكالب اللذين قال الله في شأنهما ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾

[المائدة: ٢٣].

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (٧٢-٧٥) من سورة المائدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إبطال مزاعم النصارى في تأليه عيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: عقيدة التثليث عند النصارى وبطلانها.

المطلب الثالث: بشرية عيسى عليه السلام.

المطلب الأول

إبطال مزاعم النصارى في تأليه عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

أولاً: مناسبة الآية لما سبقها:

بعد أن انتهت الآيات السابقة من إبطال ضلالات اليهود وتفنيد حججهم وبيان قبائحهم ذكر الله تعالى عقائد النصارى الضالة في المسيح وإبطال هذه الضلالات (١).

ويقول أبو السعود: "هذا شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال أقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود" (٢).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا قول اليعقوبية (٣) قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم الماريقوبية (٤).

وقيل هم الملكانية (٥) ويقول ابن عباس: "وهو مقالة النسطورية (٦)"، ويقول الرازي: "أو هذا قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلهاً، ولعل هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بها" (٧).

(لقد كفر): الكفر: ضد الإيمان، والكفر أيضاً: جحود النعمة، والكفر بالفتح: التغطية والستر، يقال كفرت الشيء: سترته (٨)، والكفر هو ستر الحق وإنكاره والانغماس في الباطل والضلال (٩)،

(١) انظر: روح المعاني، ٣/٣٧١، لباب التأويل، ٢/٦٥، اللباب، ٧/٤٥٨.

(٢) إرشاد العقل السليم، ٣/٦٥.

(٣) انظر: تفسير الراغب، ٥/٤٠٩، مفاتيح الغيب، ١٢/٤٠٨، محاسن التأويل، ١/٢١١، نظم الدرر، ٦/٢٤٧.

(٤) انظر: زاد المسير، ١/٥٧١، روح البيان، ٢/٤٢٢.

(٥) انظر: فتح البيان، ٤/٢٥، تفسير البغوي، ٣/٨٢، الكشف والبيان، ٤/٩٥.

(٦) تفسير ابن عباس، ١/٩٨.

(٧) مفاتيح الغيب، ١٢/٤٠٨.

(٨) القاموس المحيط، ١/٤٧٠، تاج العروس، ١٤/٥٠، المعجم الوسيط، ٢/٧٩٢.

(٩) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٤/٢٣٧.

وكفروا: أي كفروا بعيسى لأن عيسى كذبهم في قولهم (أنه ابن الله) بقوله: (يا بني إسرائيل اعبدوا ربي وربكم)، وبقوله (إن الله ربي وربكم فاعبدوه)، وبقوله (إني عبد الله آتاني الكتاب).
والثاني: كفروا بعلمهم، لأنهم علموا أنه ابن مريم، وسموه ابن مريم ثم قالوا: هو الله أو ابن الله^(١).

المسيح: عيسى بن مريم عليه السلام.

وفي تفسير معنى المسيح سبعة أقوال:

بيروي ابن عباس أنه قال: إنما سمي عيسى: مسيحاً، لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا براً، ولا يضع يده على شيء إلا أعطي فيه مُرادَه.
وقال إبراهيم النخعي: المسيح: الصديق.
وقال أبو العباس/ أحمد بن يحيى: سمي المسيح مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها.

وقال عطاء عن ابن عباس سمي مسيحاً، لأنه كان أمسح الرّجل، لا أخص له.
والأخص: ما يتجافى عن الأرض من الرّجل من وسطها، ولا يقع عليها.
ويقال: إنما سمي المسيح: مسيحاً، لسياحته في الأرض.
وقال آخرون: إنما سمي: مسيحاً، لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: المسيح في كلام العرب على معنيين: المسيح الدجال والمسيح عيسى بن مريم.

فإذا كان المسيح: الدجال، فالأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح إحدى العينين.
وإذا كان المسيح: عيسى ابن مريم، فأصله بالعبرانية: مشيحاً بالثين فلما عربته العرب أبدلت من شينه سيناً، فقالوا المسيح، كما قالت العرب: موسى وأصله بالعبرانية: موسى، فلما عربوه ونقلوه إلى كلامهم، أبدلوا من شينه سيناً^(٢).
قال الحسن: سمي بذلك لأنه ممسوح بالبركات وسمي الدجال مسيحاً لأنه ممسوح باللعنة^(٣).

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٦٢/٣.

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٨٨/١، معجم ديوان الأدب، ٣٧٩/٣، المخصص، ٣١١/١، تفسير القرآن، السمعاني، ٥٤/٢.

(٣) انظر: تحفة الأريب، ٢٨١/١، مجمع بحار الأنوار، ٥٧٣/٤، جمهرة اللغة، ٥٣٥/١.

ويقول ابن فارس: سمي المسيح ﷺ مسيحاً كأن عليه مسحة من جمال (١).

(من يشرك بالله): أي يشرك بالله غيره تعالى من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات (٢).

(حرم الله عليه الجنة): حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك (٣)، ويقول الراغب: "وأصل التحريم جعل الشيء ممنوعاً منه إما بالحكم كتحريم الله الخمر وإما بالمنع القهري كتحريم الله الجنة على الكافر" (٤).

(المأوى): المكان الذي يأوي إليه الشيء أو يرجع إليه (٥).

الجوانب البلاغية:

قوله (لقد كفر): التأكيد بثلاث مؤكدات لام القسم، اللام الموطئة للقسم وقد للتحقيق (٦)، وهو قسم من الله ﷻ حكم عليهم بالكفر (٧).

قوله (يا بني إسرائيل اعبدوا الله) ولم يقل اعبدوني، ثم صرح بقوله: (ربي وربكم) قلماً لمادة توهم الاتحاد وذلك لأن اليعقوبية قالوا إنه إله وأن مريم ولدت إلهاً، أي أن الله تعالى حلّ في ذات عيسى واتحد بها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفيه إنكار المسيح عليهم ذلك وتشنيع كلامهم (٨).

قوله (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) الجملة تذييل مقرر لما قبلها وهو إمّا من تمام كلام عيسى ﷺ وإما وارد من جهته تعالى تأكيداً لمقالته ﷻ وتقريراً لمضمونها (٩).
(حرم الله عليه الجنة): إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة (١٠).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٣٢٢/٥.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ٦٥٦/١، مدارك التنزيل، ٤٦٤/١.

(٣) انظر: تفسير الجلالين، ١٥١/١، أيسر التفاسير، ٦٥٦/١.

(٤) تفسير الراغب، ٤٠٩/٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨١/٦.

(٦) انظر: المحرر الوجيز، ٢٢١/٢.

(٧) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، ٤٨٤/١.

(٨) انظر: محاسن التأويل، ٢١١/٤.

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٩/٦، إرشاد العقل السليم، ٦٦/٣.

(١٠) انظر: صفوة التفاسير، ٣٣٢/١، إرشاد العقل السليم، ٦٦/٣، البحر المديد، ٦٥/٢.

أصل التحريم: قوله تعالى: (حرم الله عليه الجنة) وهو المنع من دار السعداء مفهماً لكونه في دار الأشقياء (النار) والله صرح به وقال (مأواه النار) وذلك تأكيداً على مصيره في دار العذاب وفيه تهديد من الله ﷻ على كفره (١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يقول الحق ﷻ: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم لما رأوا على يديه من الخوارق وزعموا أن الله حل في عيسى ابن مريم حتى صار إلهاً كما يقول كثير من النصارى، مع أن عيسى ﷺ براء من هذه الدعوى وأنه ﷺ أمر بني إسرائيل أن يخلصوا الدين لله وحده قائلاً لهم: أفردوا الله وحده بالعبادة فهو المستحق لها دون غيره، فإنه ربي ريكم ومالك أمرنا جميعاً، وإن كان من يدعي أن الله تعالى شريكاً، فإن جزاءه ألا يدخل الجنة أبداً وأن تكون النار مصيره، ولن تجد له نصيراً يمنع ويحميه من ذلك العذاب (٢).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله: أقسم الله في هذه الآية الكريمة بكفر هذه الطائفة من النصارى يقال إنها اليعقوبية لأنهم ادعوا أن الله هو المسيح ابن مريم وزعموا حلول إتحاد الله بالمسيح وهي أعظم ضلالات النصارى وقد أبطل الله قولهم بشهادة كلام من نسبوا إليه الإلهية إبطالاً تاماً، وقد أنكر الله عليهم تلك الأقوال في المسيح وعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الإلهية من دون الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] فأخبر أن الإلهية وهي العبادة حق الله لا يشركه فيها أولو العزم ولا غيرهم يبين ذلك قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ (٣).

ويقول ابن حزم: "قد أقررتم بأن المسيح ابن الله وابن مريم، قد أقررتم أن المسيح إنسان وإله، فالإنسان هو ابن الله وابن مريم، وإله هو ابن مريم وهذه غاية الشناعة" (٤).

(١) انظر: نظم الدرر، ٢٤٩/٦، تفسير الراغب، ٤٠٩/٥.

(٢) انظر: بيان المعاني، ٣٥٥/٦، بحر العلوم، ٤٠٨/١، البحر الميد، ٦٤/٢، غرائب القرآن، ٦٢٢/٢.

(٣) انظر: المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، ٣٩/١، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ٢٧٦/١.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٨٥/١، الملل والنحل، ٢٨/٢.

- **تقرير كفر من دان بغير ملة الإسلام:** تتضمن دعوة وحدة الأديان تجويزاً وتسويقاً لاتباع غير دين الإسلام وهذا كفر يناقض الإيمان فمن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر^(١)، فمن صحح دين النصارى أو اليهود أو غيرهم من ملل الكفر ومن لم يعتقد بكفرهم فهو كافر مرتد لقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة: ٧٢]^(٢).

ويقول ابن تيمية: "ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب"^(٣).

ويقول القاضي عياض: "ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الممل أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك"^(٤).

- **كفر مدعي الاتحاد والحلول أشد وأعظم من كفر مدعي التثليث:** قدم الله ذكر طائفة - اليعقوبية - القائلين بأن المسيح هو الله في هذه الآية على ذكر طائفة - المرقوسية - القائلين بأن الإله ثلاثة آلهة الأب والابن والروح القدس وذلك في الآية التالية، ويؤخذ من ذلك أن كفر طائفة اليعاقبة أشد وأعظم من كفر طائفة المرقوسية، لأنهم قالوا بتأليه المسيح والحلول والاتحاد بذاته مع الله ﷻ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(٥).

- **تقرير عبودية عيسى عليه السلام لربه تعالى:** زعم النصارى أن الله هو المسيح والمسيح هو الله فكذبهم المسيح وأمرهم بعبادة الله وحده معترفاً بأنه ربه وربهم وهو يناقض قولهم ويبطل شبهتهم لأنه لا يكون إلا مربوباً في قوله: (اعبدوا الله ربي وربكم) وفيها إثبات العبودية لعيسى عليه السلام.

(١) انظر: نواقض الإيمان القولية، ٣٨٠/١، الولاء والبراء في القرآن والسنة، ٤٢٠/١، الإيمان لابن تيمية، ١٥٤/١.

(٢) الولاء والبراء في الإسلام، ٥٢/١.

(٣) مجموع الفتاوى، ٥٢٤/٢٨، مختصر الفتاوى المصرية، ص ٥٠٧.

(٤) الشفا، ١٠٧١/٢.

(٥) انظر: نظم الدرر، ٢٤٧/٦، التحرير والتنوير، ٢٨١/٦.

ونفي الألوهية عنه وجاء الرد على زعمهم في نفس الآية ممن نسبوا إليه الألوهية أي كيف تولهونه وهو يقول (الله ربي)، وقد ربي لتأكيد بطلان دعواهم وردّها وتبرئها مما يقولون وتشنيع ما يقولون وفيها مدح لعيسى عليه السلام.

- **التحذير من الشرك صغاره وكباره:** بينت الآية موانع دخول الجنة وتحريمها على من لقي ربه وهو يشرك به سواه، فالشرك بالله أعظم الذنوب وليس هناك شيء فوقه وتحريم الجنة عليه تحريماً شرعياً وتحريماً قديراً، لقوله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه" (١).

- **الظالمون لا ناصر لهم ينقذهم من النار:** أفاد قوله: (وما للظالمين من أنصار) أي مالهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة كذلك قوله ﷺ من أنصار ولم يقل أنصاراً للمبالغة في عدم وجود أحد ينقذهم من النار ومن الوعيد الشديد (٢).

المطلب الثاني

عقيدة التثليث عند النصارى وإبطالها

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد بيان كفر طائفة اليعقوبية من النصارى جاءت هذه الآية لبيان كفر طائفة أخرى من طوائف النصارى الذين يتفرقون في العقائد والنحل ويتجمعون على الكفر والضلال، فهم شيع شتى، وفرق متباذرة كل شيعة منهم تكفر الأخرى وتعارضها في معتقداتها (٣).

ثانياً: سبب النزول:

قال السُّدِّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة (٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، ح ٧٥٨٤، ٢٢٣/٨.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، ٦٦/٣.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٣٨/٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٥٨/٣، تفسير ابن أبي حاتم، ١١٧٩/٤، (٦٦٤٥).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ عن مجاهد قال: هم النصارى ^(١)، يقولون إن الله ثالث ثلاثة وكذبوا ^(٢): أي أحد آلهة ثلاثة ^(٣) هي الأب والابن وروح القدس وكلها إله واحد ^(٤).

الجوانب البلاغية:

قوله: (ثالث ثلاثة): فيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة ^(٥) لأنهم يقولون الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة ^(٦).

قوله: (وما من إله إلا إله واحد): للاستغراق أي وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ^(٧).

(أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه): استفهام إنكاري توبيخي، إنكاراً لواقعهم وتعجبياً مما وقع منهم ومن إصرارهم على الكفر مع كون التوبة مقبولة منهم وتوبيخاً على جهلهم وغفلتهم ^(٨).

قال الفراء: "هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: (فهل أنتم منتهون) أي انتهوا، والمعنى إن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم" ^(٩).

قوله: (ليمسن الذين كفروا): قال الزمخشري: قال: (ليمسن الذين كفروا) ولم يقل ليمسّنهم لأن في إقامة الظاهر مقام المضمرة فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر

(١) انظر: تفسير مجاهد، ٣١٣/١.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١١٧٨/٤، (٦٦٤٤).

(٣) انظر: التفسير المنير، ٢٧٠/٦.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، ٦٥٨/١.

(٥) انظر: تفسير البغوي، ٨٢/٣.

(٦) انظر: معالم التنزيل، ٨٢/٣.

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم، ٦٧/٣.

(٨) انظر: التفسير المظهر، ١٤٩/٣، غرائب القرآن، ٦٢٣/٢، البحر الميد، ٦٥/٢.

(٩) انظر: لباب التأويل، ٦٦/٢.

وتتبيهاً على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه، ولهذا عقب بقوله أفلا يتوبون^(١)، وقوله ليمسن بذكر المس وذلك يقتضي مبالغة في وصف عذابهم لأن المس يقتضي للمس وذلك أعم الحواس وأكثرها وجوداً إذ لا حيوان إلا وله للمس ولأنه أعرف الحواس عند الخاص والعام^(٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي:

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة ويعنون بذلك الله الذي يدعونه أباً، وعيسى الذي يدعونه ابناً، وجبريل الذي يدعونه روح القدس.

والحق الثابت أنه ليس هناك إلا إله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة والإلهية إلا إله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشراكة، وإن لم يرجع هؤلاء الذين قالوا بالتثليث عن عقائدهم الزائفة، وأقوالهم الفاسدة ويعتصموا بعروة التوحيد، ليصيبن الذين استمروا على الكفر منهم عذاب شديد موجه.

وبعد هذا الترهيب الشديد للكافرين من العذاب الأليم فتح الله ﷻ باب رحمته للتائبين، فرغبهم في الإيمان، وأنكر عليهم تقاعسهم عنه بعد أن ثبت بطلان ما هم عليه من عقائد، فيقول لهم أفلا ترجعون إلى الله وتستغفرونه من هذا الذنب العظيم، فإنه تعالى يغفر الذنوب لمن استغفره وتاب إليه رحيم به ويسائر خلقه^(٣).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد: أقسم الله في هذه الآية الكريمة بكفر هذه الطائفة من النصارى يقال إنها النسطورية لأنهم ادعوا أن الله ثالث ثلاثة أي بالأقانيم الثلاثة الأب، الابن، الروح القدس وأثبت الله ﷻ الألوهية لإله واحد موصوف بالوحدانية وأبطل هذه الضلالات.

- إثبات الألوهية لله ﷻ: أقرت الآية بأنه لا إله إلا إله واحد موجود وموصوف بالوحدانية لا ثاني له وجاء الرد في هذه الآية بإبطال زعمهم أن الله ثالث ثلاثة مباشرة من الله ﷻ أنهم كاذبون

(١) انظر: محاسن التأويل، ٤/٢١٤، أنوار التنزيل، ٢/١٣٨.

(٢) انظر: تفسير الراغب، ٥/٤١٠.

(٣) انظر: لباب التأويل، ٢/٦٦، أنوار التنزيل، ٢/١٣٨، التفسير المنهجي، ص ٩٠.

وإنما الله إله واحد وأما جبريل فأحد الملائكة، وعيسى عبده ورسوله ومريم أمه فالكل عبد الله وحده الذي لا إله غيره ولا رب سواه، أما في الآية السابقة فكان الرد بالإخبار عن المسيح بكلام فيه رد على زعمهم بأن المسيح هو الله.

- **إثبات وجود مؤمنين موحدين في كل أمة:** قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ولم يقل لقد كفر النصارى وهو من باب العدل الإلهي فليس كل النصارى قالوا هذا فمنهم من قال بألوهية عيسى ﷺ ومنهم من قال بأن الإله ثلاثة آلهة ومنهم من هو موحد ومؤمن بعيسى ﷺ واتبعه مثل ملك الحبشة وهرقل والله أعلم.

- **الرد على القائلين بوحدة الأديان:** ردت الآية وما قبلها بالقول الجازم على القائلين بوحدة الأديان والتعايش والتداخل مع النصارى وذلك للتخفيف من حدة العداء بيننا وبينهم وهو نقض لأصل الإسلام ورد لآيات الوحي وهدم لقواعد الملة.

- **الرد على القائلين أن مناهجنا تدعو إلى التكفير:** أفادت الآية وما قبلها الرد على من يقول إن مناهجنا تدعو إلى التكفير نقول لهم إن هذه المناهج هي مناهج ربانية وأن الله كفرهم في كتابه العزيز فافقرأوا القرآن فإنه لا يجوز حذف شيء منه وإن أردتم الحرب فهي بينكم وبين الله ﷻ.

- **نقول نصارى ولا نقول مسيحيين:** تبين من الآية أن النصارى كفروا بما جاء به عيسى ﷺ وكذبوا على الله ﷻ وعلى المسيح فزعموا أن المسيح هو ابن الله وعليه فتسميتهم مسيحيين فيه تزكية لهم ولما هم عليه، وهم على كفر وباطل والعياذ بالله لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]، والله سماهم في كتابه العزيز نصارى وعليه فلا نسميهم إلا بما سماهم الله وسماهم رسوله ﷺ (١).

- **الحض على التوبة في أعظم الذنوب وأشنعها:** رغبت الآية ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على التوبة والرجوع إلى الله فباب التوبة مفتوح حتى في أشد الذنوب وأعظمها، فإله تعالى عظيم المغفرة واسع الرحمة يقبل التوبة من عباده ويغفر لهم ما سلف إذا هم آمنوا وأحسنوا فيما بقي من أعمال صالحة فإله يفرح بتوبة العبد أكثر من فرح العبد بقبولها لأن الله تعالى يريد بعبدته الصلاح والإصلاح ولا يريد له الفساد والإفساد وإذا تاب العبد انقلب من الفساد إلى الصلاح، عن عبد الله بن مسعود ؓ عن رسول الله ﷺ قوله: (الله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة،

(١) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ١-٢٩.

فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى إذا اشتدَّ عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده) ^(١)، ومن فضيلة التوبة أن الله بكرمه يجعل سيئاته حسنات لقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فالآية مطمعة لكل مذنب في رحمة الله إذا تاب وعمل صالحاً.

- بيان أن التوبة غير الاستغفار: أفاد قوله ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أن التوبة غير الاستغفار فالتوبة: هي الرجوع والإنابة عن منكر ^(٢)، أي الإقلاع عن الذنب والندم على ما فرط، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب ^(٣)، أما الاستغفار: فهو طلب الغفران والدعاء قولاً وفعلاً بعد رؤية قبح المعصية والإعراض عنها ^(٤)، ويقول ابن منظور: "وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب يعني من اتبع الذنب الاستغفار فليس بمصر عليه وإن تكرر منه ^(٥)"، ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقوله ﷻ: إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ^(٦)، وروي أن أفضل الاستغفار عن النبي ﷺ: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ^(٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح (٦٣٠٨)، ٦٨/٨، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح (٢٧٤٤)، ٢١٠٣/٤.

(٢) تحفة الأريب، ٢٩٢/١.

(٣) تهذيب اللغة، ١٤٦/٤، معجم مقاييس اللغة، ٣٥٧/١، انظر: إحياء علوم الدين، ٥٠٩/١-٥١٠.

(٤) تاج العروس، ٤٣٨/٣٨، القاموس الفقهي، ٢٧٥/١.

(٥) لسان العرب، ٤٥٣/٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي في اليوم والليلة (٦٣٠٧)، ٦٧/٨.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستغفار ح (٦٣٠٦)، ٦٧/٨.

المطلب الثالث

بشرية عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين الله ﷻ اختلاف النصارى في عيسى، فمنهم من زعم أنه الله، ومنهم من زعم أنه ثالث ثلاثة، وبين القول الحق في عيسى وأخبر معلماً رسوله الاحتجاج على باطل النصارى فأشار ﷻ إلى بطلان التمسك بمعجزات عيسى وكرامات أمه على إلهيتهما بأن غايتهما الدلالة على نبوته، وإرشاداً لهم إلى التوبة والاستغفار^(١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قد خلت: مضت وتقدمت قبله^(٢).

صديقة: أي مبالغة في الصدق والتصديق^(٣)، وقيل من لا يأتي منه الكذب لتعوده الصدق^(٤)، وأمّه صديقة تأويلان: أحدهما أنه مبالغة في صدقها ونفي الفاحشة عنها، الثاني: أنها مصدقة بآيات ربها فهي بمنزلة ولدها^(٥)، كما قال ﷻ في وصفها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ [التحریم: ١٢]^(٦).

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه كنى بذلك عن الغائط لحدوثه منهما، وهذه صفة تنفي عن الإله، الثاني: أنه أراد نفس الأكل لأن الحاجة إليه عجز والإله لا يكون عاجزاً^(٧).

(١) انظر: محاسن التأويل، ٢١٤/٤، أيسر التفاسير، ٦٥٩/١.

(٢) انظر: غريب القرآن، ١٢٦/١، الكليات، ٤٩٨/١.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ١٨٩/٦، لسان العرب، ١٩٣/١.

(٤) تاج العروس، ١٣/٢٦.

(٥) انظر: النكت والعيون، ٥٦/٢.

(٦) انظر: معالم التنزيل، ٨٢/٣، التفسير الحديث، ١٩١/٩.

(٧) انظر: النكت والعيون، ٥٦/٢.

(أَنْتَى يُوْفِكُونُ): أَفَكَ يَأْفِكُ، أَفَكَ وَإِفَكَ فَهُوَ آفِكُ، وَأَفَكَ فَلَانًا: خَدَعَهُ وَكَذَبَ عَلَيْهِ وَالْأَفَاكُ: الَّذِي يَأْفِكُ النَّاسَ أَي يَصْدَهُمُ عَنِ الْحَقِّ بِبَاطِلِهِ وَأَفَكَهَ إِفَكَ: أَي قَلْبَهُ وَصَرَفَهُ عَنِ الشَّيْءِ بِالْخَدَاعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، (يُوْفِكُ عَنْهُ مِنْ أَفَكَ) [الذاريات: ٩] أَي يَصْرِفُ عَنِ الْحَقِّ مِنْ صَرْفٍ، قَالَ الْفَرَاءُ: يَرِيدُ يَصْرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ مِنْ صَرْفٍ، وَأَفَكَ الرَّجُلُ: ضَعَفَ عَقْلَهُ وَصَارَ سَفِيهًا، قَالَ مَجَاهِدٌ: لَمْ يَسْتَعْمَلْ أَفَكَهُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَضْعَفَ عَقْلَهُ، وَإِنَّمَا أَتَى أَفَكَهُ بِمَعْنَى صَرْفَهُ، يَصْرِفُ عَنْهُ، وَأَفَكَ الرَّجُلُ عَنِ الطَّرِيقِ إِذَا ضَلَّ عَنْهُ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ أَفَكَتِ الْأَرْضُ: إِذَا صَرَفَ عَنْهَا الْمَطَرَ، وَالْمَوْتَفِكَاتُ: الْمُنْقَلِبَاتُ مِنَ الرِّيَاحِ وَغَيْرِهَا (١).

وَالْخُلَاصَةُ: مَعْنَى (أَنْتَى يُوْفِكُونُ) فِي الْآيَةِ: أَي كَيْفَ تُصْرِفُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ الْخَيْرِ وَالذِّينِ وَالْحَقِّ (٢).

الجوانب البلاغية:

قوله (إِلَّا رَسُولٌ): حَصَرَ أَوْ قَصَرَ إِضَافِي أَي مَا هُوَ إِلَّا رَسُولٌ مَقْصُورٌ عَلَى صِفَةِ الرَّسَالَةِ لَا يَتَجَاوَزُهَا إِلَى غَيْرِهَا وَهِيَ الْإِلَهِيَّةُ (٣).

(وَأَمَّهُ صَدِيقَةٌ): رَدَّ عَلَى الْيَهُودِ نَسَبَتَهَا إِلَى الْفَاحِشَةِ (٤)، وَكَذَلِكَ إِبْطَالُ نُبُوَّةِ مَرْيَمَ وَنَفْيُ أَنَّ يَكُونُ لَهَا وَصْفٌ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ (٥).

قال بعض المفسرين في قوله (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ): كِنَايَةٌ عَنِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمَا بَشَرَانِ (٦).

قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبِئُ هُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ تَكْرِيرُ الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي التَّعْجِبِ، وَلَفْظُ ثُمَّ لِإِظْهَارِ مَا بَيْنَ الْعَجَبِيِّينَ مِنَ التَّفَاوُتِ أَي إِنْ بَيَّانْنَا لِلآيَاتِ فِي غَايَةِ الْوَضُوحِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهَا أَعْجَبَ (٧).

(١) جمهرة اللغة، ٥٦/١، تهذيب اللغة، ٢١٥/١٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٥٧٣/٤، شمس العلوم، ٢٨٩/١، مختار الصحاح، ١٩/١، لسان العرب، ٣٩١/١٠، تاج العروس، ٤٤/٢٧، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٠٣/١.

(٢) انظر: مجاز القرآن، ١٧٤/١، معاني القرآن للزجاج، ١٩٧/٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨٥/٦.

(٤) انظر: تفسير العز بن عبد السلام، ٣٩٩/١.

(٥) انظر: أيسر التفاسير، حومد، ٧٤٥/١.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥١/٦، تفسير العز بن عبد السلام، ٤٠٠/١.

(٧) انظر: التفسير المنير، ٢٧٠/٦، إرشاد العقل السليم، ٥/٢، التفسير الوسيط، ٨٤/١.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بين الله ﷻ في هذه الآية حقيقة عيسى عليه السلام وحقيقة أمه مريم حتى يزيل عن ساحتهما ما افتراه عليهما المفترون فقال ﷻ ليس عيسى ابن مريم إلا عبداً من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة كما أنعم على كثير ممن سبقوه، وأم عيسى إحدى النساء طبعت على الصدق في قولها والتصديق بربها وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب وذلك علامة البشرية، فانظر أيها السامع نظرة عقل وفكر، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه (١).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام: دلت الآية على بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام بنيتهما ومن كان مفقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً (٢)، ودلائل بشرية عيسى كثيرة وكونه عبداً لله لم ينكره عيسى عليه السلام ولكن عقول أهل الكتاب لا تقبل المنطق وإنما يعيشون على ما ورثوه من آبائهم (٣).

- نفي النبوة عن مريم عليها السلام: تعتبر هذه الآية من أدلة من قال: إن مريم عليها السلام لم تكن نبية فإنه تعالى ذكر أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهيتها إشارة إلى بيان ما هو الحق في اعتقاد ما لها من أعلى الصفات، وأنه من رفع واحداً منهما فوق ذلك فقد أطراه ومن نقصه عنه فقد ازدراه، فالقصد العدل بين الإفراط والتفريط باعتقاد أن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه الصديقية (٤).

- بيان أن الصديقية مرتبة دون النبوة: الصديقية فعيل من الصدق لكثرة صدقه، أو لمبالغته في تصديق شيء عظيم، وأبو بكر جمع بين الاثنين لكثرة صدقه وتصديقه لمحمد ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج تصديق بأمر عظيم ومنذ ذلك اليوم سمي بالصديق.

وسميت مريم صديقة لأنها صدقت بما جاء على السنة الأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام ولأنها كانت كثيرة الصدق في أقوالها وأفعالها فجمعت بين الصدق والصديقية من طرفيها وفي الآية: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] ، ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ

(١) انظر: تيسير التفسير، ٤٢٤/١، المنتخب، ١٦٠/١، التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٤١/٤.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٦٦٠/١، موارد الظمان، ١٩/١.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي، ص ٣٥٨.

(٤) انظر: نظم الدرر، ٢٥٥/٦.

كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿ [مريم: ٤١] ، فهي صديقة وليست نبيه كما وصفها البعض -والله أعلم- لأن الوحي لا يلزم منه النبوة وذلك بنص القرآن ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ فالصديقية مرتبة أعلى من مرتبة الشهداء وهي أرفع مراتب المؤمنين وهي دون النبوة ولا ينالها إلا القلائل ونالتها مريم وأبو بكر ﷺ، وقال ابن كثير: دلت الآية ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ على أن مريم ليست بنبيه كما زعم ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة أم عيسى وغيرها استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لمريم، وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ... ﴾ [يوسف: ١٠٩] ^(١).

- **تعدد الأدلة والبراهين على إبطال دعوى النصارى بتأليه عيسى ﷺ:** دلت الآيات السابقة على أن القرآن الكريم ذكر الكثير من الدلائل والبراهين المتنوعة لإبطال زعم النصارى بتأليه عيسى ﷺ وأمه ومنها: أدلة شرعية مثل قوله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] ، وقوله ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وهو عقلي أيضاً، وأدلة تاريخية مثل قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، أي إذا بحثنا في أنجيلهم نجد عندهم أنه رسول كغيره من الرسل الذين قبله، وكذلك من بعده محمد ﷺ فهو لا يختلف في حياته عنهم فهو مثلهم وأفعاله مثل أفعال البشر ومثل أفعال الرسل من قبله، وكذلك أدلة نسبية مثل قوله ﴿ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، أدلة حسية غاية في الوضوح والأدب وقوله: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ أي كانا يحتاجان إلى ما يحتاج إليه الإنسان من طعام يغذيه ويقويه وهم بحاجة إلى أن يتخلصوا من الفضلات ونحوها وهذا لا يليق بالإله مع عدم ذكر ذلك لأنه معلوم، وفيه إشارة إلى التأدب مع الغير وتربية الذوق في الخطاب والوصف واختيار الألفاظ المناسبة وعدم التلفظ بالألفاظ النابية، وبعد ذكر كل هذه الدلائل والبراهين هم مصروفون عن الحق.

- **تقديم الدليل المحسوس على غيره من الأدلة:** ينبغي للداعية أو المعلم أو المجادل أو المؤلف أو المبين للحق أن يقدم الأدلة المحسوسة الواضحة الجلية على غيرها من الأدلة التي فيها خفاء لأن الكل يفهم الدليل الحسي، يقول ابن عاشور: قوله: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾، جملة واقعة موقع الاستدلال على مفهوم القصر الذي هو نفي إلهية المسيح وأمه ولذلك فصلت عن التي قبلها لأن الدليل بمنزلة البيان، وقد استدلت على بشريتهما بإثبات صفة من صفات البشر وهي أكل الطعام وإنما اختيرت هذه الصفة من بين صفات كثيرة؛ لأنها ظاهرة واضحة للناس، ولأنها

(١) تفسير القرآن العظيم، ٣/١٥٨.

أثبتتها الأنجيل فقد أثبتت أن مريم أكلت ثمر النخلة حين مخاضها وأن عيسى أكل مع الحواريين يوم الفصح خبزاً وشرب خمراً^(١).

- وإن كان رأي كثير من المفسرين ومنهم ابن عباس أن المقصود بقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كناية عن الحاجة إلى إخراج الطعام ولكن الله كريم يُكْنَى كما قال.

- **حث الداعية على الاستقصاء والبيان لإظهار الحق:** دلت الآية ﴿انظُرْ كَيْفَ بُيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أن الله ﷻ يوجه خطابه إلى محمد ﷺ انظر يا محمد كيف نبين لهم الأدلة والحجج والبراهين وجاءت بصيغة المضارع لأن الأدلة على صدق نبوة عيسى تتجدد وكذلك الأدلة على صدق نبوة محمد ﷻ التي ما زالت تتجدد حتى اليوم، فهو درس لكل داعية على الحرص على البيان والاستقصاء فيه لبيان الحق وإظهاره وأن لا يمل ويكرر ويعيد البيان.

- **عقاب الجاحد بصرف قلبه عن الحق:** قوله ﴿أَنْتَى يُؤْفَكُونَ﴾ دلّ على أن الذي لا يستجيب لهذه الحجج والبراهين فإن الله يعاقبه بصرف قلبه عن الحق مع كثرة الأدلة لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، أمثال فرعون جاءه موسى بالبينات والأدلة والحجج ولكنه تجبر في الأرض وطغى فصرف الله قلبه عن الحق والهداية وعندما أراد أن يتوب لم يقبل توبته وأماته شر مودة غرقاً حتى يكون عبرة لغيره.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨٦/٦.

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف الآيات (٧٦-٨١) من سورة المائدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الألوهية الحقّة.

المطلب الثاني: التحذير من الغلو في الدين.

المطلب الثالث: لعن كفار بني إسرائيل لعصيانهم وعدوانهم.

المطلب الأول

الألوهية الحقّة

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[المائدة: ٧٦].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن رد الله تعالى على أباطيل اليهود ثم رد على أباطيل النصارى، وأقام الدليل القاهر على بطلانها وفسادها، أنكر على كل من عبد غير الله من الأصنام والأنداد والأوثان، وأبان أنها لا تستحق شيئاً من الألوهية فهي زيادة في البيان وإقامة الحجة عليهم^(١).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: هو خطاب لجميع من يعبد شيئاً من دون الله من

المشركين والنصارى^(٢).

وفي الكشاف وغيره (ما) كناية عن عيسى^(٣).

وفي محاسن التأويل (ما) كناية عن عيسى وأمه عليهما السلام^(٤).

والراجح القول الأول لابن عاشور ولزيادة إيضاح يمكن الرجوع إلى التحرير والتنوير^(٥).

قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾:

الضر والنفع: الضرُّ والضرُّ لغتان، إذا جمعت بين الضرر والنفع فتحت الضاد وإذا أفردت

الضر ضمت الضاد إذا لم تجعله مصدراً كقولك: ضررت ضرراً، هكذا تستعمله العرب، الضر ضد النفع.

الضر بالضم: الهزال وسوء الحال، والنافع اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه: الذي يصدر

منه الخير والنفع في الدنيا والدين، والنافع ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير، والنافع

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥١/٦، التفسير المنير، ٢٧٦/٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨٨/٦.

(٣) انظر: الكشاف، ٦٩٥/١.

(٤) انظر: محاسن التأويل، ٢١٧/٤.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨٨/٦.

والضار من أسماء الله الحسنى وهو الذي ينفع من يشاء من خلقه ويضره حيث هو خالق الأشياء كلها خيرا وشرها ونفعها وضرها (١).

(السميع): المجيب لدعائكم واستغفاركم، (العليم) بنياتكم، وبتوبتكم لو تبتم وبغير ذلك من أموركم (٢).

الجوانب البلاغية:

قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ﴾: استفهام للإنكار والتوبيخ والتغليظ مجازاً (٣).

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: التضاد بين الضر والنفع (٤).

وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفسد أهم من جلب المصالح (٥).

ويقول ابن عاشور: "وقدم الضر على النفع لأن النفوس أشد تطلعا إلى دفعه من تطلعها إلى جلب النفع فكان أعظم ما يدفعهم إلى عبادة الأصنام أن يستدفعوا بها الأضرار بالنصر على الأعداء ويتجنبها إلحاق الأضرار بعابديها" (٦).

ومن الفوائد: قال بعض المحققين في قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ إذا كان هذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولي من الأولياء هل يملك لهم نفعاً أو ضرراً (٧)؟

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أمر الله نبيه ﷺ أن يوبخ هؤلاء النصارى الذين ضلوا مع وضوح الدلائل القائدة إلى الحق فقال سبحانه: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء النصارى: أتعبدون من دون الله تعالى عيسى عليه السلام وأمه؟ وهما

(١) تهذيب اللغة، ٣١٤/١١، مجمل اللغة، لابن فارس، ٥٦١/١، لسان العرب، ٤٨٢/٤، معجم مقاليد العلوم، ١٩٩/١، تاج العروس، ٣٩٣/١٢، المعجم الوسيط، ٩٤٢/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٢٥٩/٣.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٦٩/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية، ١٨١٧/٣.

(٣) انظر: التفسير المنير، ٢٧٦/٦.

(٤) لسان العرب، ٤٨٤/٤.

(٥) انظر: تفسير الراغب، ٤١٣/٥، فتح القدير، ٧٥/٢.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٨٩/٦.

(٧) انظر: فتح البيان، ٢٩/٤.

لا يستطيعان أن يضراكم بشيء من الضرر في الأنفس والأموال ولا أن ينفعاكم بشيء من النفع كصحة الأبدان وسعة الأرزاق فإن الضر والنفع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه، ومن لم يقدر على النفع والضر لا يكون إلهاً، والله هو السميع العليم أي سميع لأقوالكم وكفركم، عليم بما في ضمائركم، وسيحاسبكم على ذلك، وسيجازيكم على أقوالكم الباطلة وعقائدكم الزائفة^(١).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- إثبات أن الله هو الإله الحق: ذمت الآية كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعبادها ضرراً ولا نفعاً، لا تسمع دعاء من يدعوها ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده، العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل^(٢).

- بيان أن النفع والضر بيد الله ﷻ وحده: بينت الآية أن من أعظم صفات الإله الذي يستحق أن يُعبد الضر والنفع حيث لا ضار ولا نافع إلا هو سبحانه كما قال ﷻ لابن عمه ابن عباس: (يا غلام احفظ الله يحفظك ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)^(٣)، وقوله ﷻ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ مِنْ مُمْسِكَاتٍ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

- الحث على التوبة والاستغفار: ختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ويقول الطبري: "وأما قوله (والله هو السميع العليم) فإنه يعني تعالى ذكره بذلك والله هو السميع لاستغفارهم لو استغفروه من قبلهم ما أخبر عنهم أنهم يقولونه في المسيح، وبغير ذلك من منطقتهم ومنطق خلقه، (العليم) بتوبتهم لو تابوا منه وبغير ذلك من أمورهم"^(٤)، وفيه حض على التوبة والاستغفار من قولهم الباطل بتأليه عيسى عليه السلام.

- التهديد لمن عبد غير الله وتسفيه عقولهم: أشارت الآية إلى تسفيه عقول من يعبدون من دون الله أرباباً ثم يرجون عندها النفع والضر وقد أبطل الله ﷻ مقالاتهم بالحجة والدليل، فاليهود كانوا يعادون المسيح عليه السلام ويقصدونه بالسوء، ورغم ذلك لم يقدر على الإضرار بهم، وأنصاره وصحابته مع شديد محبتهم له لم يستطع إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم، والعاجز عن الضر

(١) انظر: مجاز القرآن، ١٧٤/١، لباب التأويل، ٦٧/٢، تفسير ابن عرفة، ١٢٠/٢، روح المعاني، ٣٧٤/٣.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، ٦٦/١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العصمة، ح ٢٥١٦، ٦٦٧/٤، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني، انظر: الحجة في بيان المحجة، ٤٨/٢.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٤٨٧/١٠، انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١٨١٧/٣.

والنفع كيف يعقل أن يكون إليها؟^(١).

المطلب الثاني

التحذير من الغلو في الدين

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما أقام الله تعالى الأدلة القاهرة على بطلان ما تقوله النصارى في المسيح ﷺ وهو من أشد أنواع الغلو في الدين بتعظيم الأنبياء فوق ما يجب أن يكون لهم من التعظيم، وكان إيذاء اليهود له وسعيهم في قتله من الغلو في الجمود على تقاليد الدين التي ابتدعوها واتباع أهوائهم بلا علم، وكان هذا الغلو هو الذي دعاهم إلى قتل زكريا وأشعيا أرشدهم الله ﷻ إلى اتباع الحق ومجانبة الغلو الباطل^(٢).

ثانياً: التفسير التحليلي:

معاني المفردات:

الغلو: غلا في الأمر يغلو غلواً أي جاوز فيه الحد^(٣)، فالغلو الزيادة في عمل على المتعارف فيه بحسب العقل أو العادة أو الشرع^(٤)، ويقول القرطبي: "غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر"^(٥).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾: تَبِعَ الأَهْوَاءَ وغيرها: انقاد لها^(٦).

قال الشاطبي: ما ذكر الله تعالى لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(١) انظر: تفسير المراغي، ١٦٩/٦، التفسير القرآني للقرآن، ١١٥١/٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل، ٢١٨/٤، تفسير المراغي، ١٧٠/٦.

(٣) منتخب من صحاح الجوهري، ٣٧٤٦/١.

(٤) انظر: التحرير والتتوير، ٢٩٠/٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢١/٦.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٦١٤/١.

قال أبو عبيد: لم نجد للهوى موضعاً إلا في الشر، ولا يقال فلان يهوى الخير إنما يقال يريد الخير ويحبه.

وقيل: سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، وقال رجل لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هواي على هواك^(١).

والهوى: الضلال وهو ميل النفس في الاعتقاد وغيره إلى ما يجانب الحق والصواب^(٢)، ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يُخرج معناه^(٣).

و﴿قَوْمٌ قَدْ ضَلُّوا﴾: قال مجاهد والحسن يعني اليهود، وقيل الغلاة من أحبارهم ورهبانهم، وأضلوا: يعني بإضلال من اتبعهم^(٤)، الآية خطاب للذين كانوا في عصر نبينا ﷺ نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم^(٥).

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: وسطه^(٦)، يعني عن قصد طريق الهدى^(٧)، وقيل عن طريق الجنة في الآخرة^(٨).

الجوانب البلاغية:

قوله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: الخطاب لعموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل للنصارى خاصة لأنه ورد عقب مجادلة النصارى وأن المراد باللغو التثنيث^(٩).

﴿غَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو الباطل وعدل عن أن يقال باطلاً إلى غير الحق لما في وصف غير الحق من تشنيع الموصوف وذمه لأن الحق محمود فغيره مذموم^(١٠)، وفيه تلوين للخطاب بطريق الالتفات على لسان النبي ﷺ للمبالغة في زجرهم^(١١).

(١) غرائب القرآن، ٦٢٥/٢، اللباب في علوم القرآن، ٤٦٧/٧.

(٢) منتخب من صحاح الجوهري، ٥٥٨٨/١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٧٧٨/١.

(٣) لسان العرب، ٣٧٢/١٥.

(٤) انظر: تفسير البيهقي، ٨٣/٣، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٢/٦، تفسير القرآن العزيز، ٤١/٢.

(٥) زاد المسير، ٥٧٣/١.

(٦) انظر: إيجاز البيان، ٢٨٠/١، تيسير التفسير، القطان، ٤٢٥/١.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٦٩/٣، تفسير القرآن العزيز، ٤١/٢.

(٨) انظر: مفاتيح الغيب، ٤١١/١٢، إيجاز البيان، ٢٨١/١.

(٩) انظر: جامع البيان، ٤٨٧/١٠، التحرير والتنوير، ٢٩٠/٦-٢٩١.

(١٠) انظر: التحرير والتنوير، ٢٩٠/٦.

(١١) انظر: إرشاد العقل السليم، ٦٨/٣.

﴿لَا تَغْلُوا﴾: نهى للنصارى عن رفع عيسى عليه السلام عن رتبة الرسالة ونهى لليهود عن إنزاله

عن رتبته^(١)؟

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

خاطب الله ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقوله: إن الله تعالى ينهاكم أن تتجاوزا في معتقداتكم حدود الحق وتميلوا إلى الباطل فتجعلوا بعض خلقه آلهة أو تتكروا رسالة بعض الرسل، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات أناس سبقوكم قد تجنبوا طريق الهدى ومنعوا كثيراً من الناس أن يسلكوها، واستمروا على مجافاتهم طريق الحق الواضح، وفي هذه الآية وصف للنصارى بثلاثة أوصاف هي: أنهم كانوا ضالين من قبل، وأنهم كانوا مضلين لغيرهم، وأنهم استمروا على تلك الحال من الضلال^(٢).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- النهي عن الغلو حتى في الدين: نهت الآية عن الغلو، وهو مجاوزة الحق إلى الباطل؛ لأنه منكر وباطل ومذموم وقد أراده بعض المسلمين ليزدادوا في العبادة فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٣)، وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)^(٤)، وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (هلك المتنتعون قالها ثلاثة)^(٥)، والمتنتعون هم المتشددون المتجاوزون للحدود التي جاءت بها تعاليم الإسلام^(٦)، ومن غلو أهل الكتاب الحرية المفرطة في السلوك والأخلاق والعلاقات، فأفسدوا المجتمعات التي يعيشون فيها، والحرية عندهم لا حدود لها حتى أنهم يدخلون في حدود

(١) انظر: نظم الدرر، ٢٥٨/٦.

(٢) انظر: تفسير الخازن، ٦٧/٢، محاسن التأويل، ٢٢٠/٤، المنتخب، ١٦٠/١، أيسر التفاسير، حومد، ٧٤٧/١.

(٣) مسند أحمد، باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ح ٣٢٤٨، ٢٩٨/٥، إسناده صحيح على شرط مسلم، رحالة ثقات رجال الشيخين، وأخرجه النسائي، ٢٦٩/٥، وابن خزيمة باب النقاط الحصى لرمي الجمار، ح ٢٨٦٧، ٢٧٤/٤، والمستدرک للحاكم، كتاب الصوم (١٧١١)، ٤٦٦/١، مسند أبي يعلى باب أول مسند ابن عباس، ح ٢٤٧٢، ٣٥٧/٤، المنتقى للسنن والمسائيد باب مقدار المكث المجزئ في المبيت بالمزدلفة، ١٧٩/٣١، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة باب رمي الجمرات، ٢٠٥/١٤، المعجم الكبير للطبراني باب أبو العالية عن ابن عباس، ٢٨٩/١٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، ح ٣٤٤٥، ١٦٧/٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، ح ٦٨٧٨، ٥٨/٨.

(٦) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ٣٤٥/٤.

الآخرين فيسيئون إليهم ويعتدون على مقدسات غيرهم (١).

- **الكفر والجحود ضلالة يتوارثه الأبناء:** دلت الآية على أن ما لهؤلاء الكفرة من الأباطيل مع مخالفتها للعقول ومزاحمتها للأصول لا مستند ولا معول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم الضالين، الذين أحدثوا القول بالتثليث بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام وقرروه في تعاليمهم بعد جدال واضطراب وتمسكوا في ذلك، بظواهر الألفاظ التي لا يحيطون بها علماء، مما لا أصل له في شرع الإنجيل ولا مأخوذ من قول المسيح ولا من قول حوارتيه، وهو مع ذلك مضطرب متناقض متهافت يكذب بعضه بعضاً ويعارضه ويناقضه (٢).

- **جواز الحجاج في الدين:** دلت الآية على جواز الحجاج في الدين فإن كان مع الكفار وأهل البدع فذلك ظاهر الجواز وإن كان مع المؤمن جاز بشرط أن يقصد إرشاده إلى الحق، وحكي أن الشافعي كان إذا جادل أحداً، قال: اللهم ألق الحق على لسانه (٣).

- بيان خطر الغلو والتحذير منه، فهو أعظم ما ابتليت به الأمة، وأدى إلى انحراف الناس عن أديانهم.

المطلب الثالث

لعن كفار بني إسرائيل لعصيانهم وعدوانهم

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

أولاً: مناسبة الآيات لما سبقها:

بعد أن ذكر الله ﷻ وصف النصارى بأنهم كانوا ضالين ومضلين لغيرهم، ومستمرين في الضلال حتى بعد ذلك بعض الرذائل التي شاعت في بني إسرائيل، وبسببها استحقوا اللعن والطرده من رحمة الله تعالى (٤).

(١) انظر: التفسير الموضوعي، ص ٣٥٩.

(٢) انظر: محاسن التأويل، ٢٢٠/٤.

(٣) انظر: محاسن التأويل، ٢١٧/٤-٢١٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ٤١١/١٢، التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٢٤٧/٤.

ثانياً: سبب النزول:

روى الترمذي وأبو داود من طرق عبد الله بن مسعود بألفاظ متقاربة قال: قال رسول الله ﷺ: (كان الرجل من بني إسرائيل يلقي الرجل إذا رآه على الذنب فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وخليطه وشريكه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ثم قرأ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه^(١) على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، أو ليلعنكم كما لعنهم)^(٢).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١ - معاني المفردات:

اللعن: الطرد والإبعاد من الخير، ويوضع في معنى السب، وأبَيَّت اللعن: عبارة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية، ومعناها: لا فعلت ما تستوجب به اللعن^(٣).

فاللعن هو دعاء عليهم باللعنة والحرمان من لطف الله وعنايته ورحمته^(٤).

وقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في لعنهم قولان:

(١) قال أبو عمرو وغيره: قوله تأطروه على الحق يقول تعطفوه عليه. انظر: لسان العرب، ٢٤/٤، ويقول القرطبي لتأطرنه: لتردته: انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة البقرة، ح (٣٠٤٨)، ٢٥٢/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٤٠٠٦)، ١٣٢٧/٢، كنز العمال (٥٥٧٣)، ٧٧/٣.

(٣) المحيط في اللغة، ٩٩/١، منتخب من صحاح الجوهري، ٤٦٩٣/١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٢٥٣/١.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، ٦٦١/١، التحرير والتنوير، ١٦٩/٦.

أحدهما: أنه نفس اللعن.

قال ابن عباس: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى في الإنجيل^(١).

وقال الزجاج: "وجائز أن يكون داود وعيسى أعلماً أن محمداً نبي ولعنا من كفر به"^(٢).

والثاني: أنه المسخ، قال مجاهد: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير.

وقال الحسن وقتادة: لعن أصحاب السبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة.

ولعن أصحاب المائة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير^(٣).

قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ﴾: النهي خلاف الأمر، ونهيته عن كذا فانتهى عنه، أي كف^(٤)، والتتاهي ها هنا معنيان:

أحدهما: وهو الذي عليه الجمهور أنه تفاعل من النهي، أي كانوا لا ينهاي بعضهم بعضاً.

والثاني: بمعنى الانتهاء، يقال: انتهى الأمر وتناهى عنه، إذا كف عنه^(٥)، وتناهى الأصدقاء عن المنكر: كف بعضهم بعضاً عن الوقوع فيه أو انقطعوا عنه^(٦).

المنكر: كل ما أنكره الشرع من قول أو فعل تقبحه العقول الصحيحة وتكرهه^(٧).

(١) انظر: زاد المسير، ٥٧٣/١.

(٢) معاني القرآن، للزجاج، ١٩٨/٢.

(٣) انظر: جامع البيان، ٤٩٠/١٠، بحر العلوم، ٢٧٢/١، الوجيز، للواحي، ٣٣١/١، تفسير القرآن، السمعاني، ٥٧/٢، تفسير ابن عطية، ٢٢٣/٢.

(٤) انظر: منتخب من صحاح الجوهري، ٥٣٤٥/١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، ٤١٢/١٢، غرائب القرآن، ٦٢٥/٢، البحر المحيط، ٣٣٨/٤.

(٦) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٨٣٩/١.

(٧) المرجع السابق، ٢٥٥٠/١، انظر: تفسير السمعاني، ٥٧/٢.

قوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: السخط: نقيض الرضا، أي غضب غضباً شديداً وكرهه (١)،
والسخط ثمرة العصيان، والعذاب ثمرة السخط (٢).

٢- الجوانب البلاغية:

قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى﴾: تعبير لهم حيث ادعوا
أنهم أولاد الأنبياء وقد لعنوا على ألسنتهم (٣).

(لُعِنَ): بنى الفعل للمجهول، ولم يذكر الفاعل وذلك:

أ- لأن الفاعل معلوم وهو الله تعالى وداود وعيسى نبيان يتكلمان عن الله فما ينطقان عن الهوى
وفيه إشعارٌ بأن اللعن يستحقونه من سوء أعمالهم، وفيه إشارة إلى عموم اللاعنين مع الله
سبحانه إذ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (إلا الذين تابوا).

ب- أن اللعنة على الذين كفروا وليست على عمومهم وذلك من إنصاف الله في أحكامه.

ج- أن اللعن جاء على لسان داود وعيسى ابن مريم وهما نبيان جاء بعد موسى عليه السلام وأحدهما كان
نبياً مجاهداً محارباً، والثاني كان رسولاً مسالماً فهم ملعونون في الحرب والسلام (٤).

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: تقبيح لسوء أعمالهم وتعجيب منه مؤكداً بالقسم (٥).

قوله: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، الضمير في منهم يعود على:

أ- المنافقين يتولون الذين كفروا يعني اليهود.

ب- وقيل: يعود على اليهود يتولون مشركي العرب وغيرهم.

ج- أو يعود على هؤلاء الذين شهد لهم رسول الله ﷺ يتولون أسلافهم ورؤساءهم (٦).

قوله: ﴿بِأَعْصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: عبر في جانب العصيان بالماضي؛ لأنه تقرر فلم يقبل

الزيادة، وعبر في جانب الاعتداء بالمضارع؛ لأنه مستمر، فاعتدوا على محمد بالتكذيب والمنافقة

(١) انظر: المحيط في اللغة، ٣٤٧/١، منتخب من صحاح الجوهرة، ٢٢٨٨/١، العباب الزاخر، ٢٦١/١، معجم

اللغة العربية المعاصرة، ٤٠٩/١، ١٤٨١.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٣٣٨/٤.

(٣) انظر: تفسير السمعاني، ٥٧/٢.

(٤) انظر: الكشاف، ٦٦٧/١، التفسير المنير، ٢٧٦.

(٥) انظر: البحر المحيط، ٣٣٧/٤، زهرة التفاسير، ٢٣١٨/٥.

(٦) انظر: تأويلات أهل السنة، ٥٧١/٣.

ومحاولة الفتك والكيد، وما زالوا يعتدون على عباد الله، وخاصة شعبنا الفلسطيني في أرضه قديماً وحديثاً مستخدمين أبشع أنواع العذاب والسلاح المتطور تكنولوجياً^(١).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

تتحدث الآيات عن دور من أدوار تاريخ بني إسرائيل حيث كفر بعض أجيالهم فاستحقوا اللعنة في الزبور على لسان داود عليه السلام، وفي الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام وذلك بسبب كفرهم وعصيانهم وتمردهم على طاعة الله وتجاوزهم لحدود الله.

ومن مظاهر عصيان هؤلاء الكافرين من بني إسرائيل الذي أدى إلى لعنهم وطردهم من رحمة الله أنهم كانوا لا ينهاي بعضهم بعضاً عن اقتراح المنكرات واجتراح السيئات، بل كانوا يرون المنكرات ترتكب فيسكتون عنها من دون استنكار لها مع قدرتهم على منعها قبل وقوعها، وهو من أقبح ما كانوا يفعلونه، فالقرآن يستنكر موقف التواطؤ على المنكر من بني إسرائيل ويستنكره من المسلمين من باب أولى وأحرى، وهو أسوأ ما تصاب به الأمم في حاضرها ومستقبلها أن تقشو فيها المنكرات والسيئات والردائل، فلا تجد من يسعى لتغييرها وإزالتها.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تحت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها الحديث المشهور: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(٢).

ثم ذم اليهود في العهد النبوي المبارك في تحالفهم مع المشركين ضد المسلمين فقال سبحانه: ترى يا محمد ﷺ كثيراً من بني إسرائيل يتولون المشركين وينصرونهم على حرب الإسلام، وقد ذم الله هذا الفعل، وأخبر أنه أسخط الله وأغضبه عليهم، وتوعدهم بالخلود في النار جزاء توليهم الكفار ومحاربتهم المسلمين.

ثم بين الله تعالى الدوافع التي حملت الفاسقين من أهل الكتاب على ولاية الكافرين ومصادقتهم ومعاونتهم على حرب الإسلام، وهي بغض النبي ﷺ، ولو صحت عقيدة هؤلاء في الإيمان بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ وما أنزل إليه من القرآن لمنعهم ذلك الإيمان عن موالاتهم الكفار ضد المؤمنين، ولكن كثيراً من بني إسرائيل عاصون خارجون عن الدين الحق.

وبهذا نرى أن هذه الآيات الكريمة قد بينت ما عليه الكافرون من بني إسرائيل من صفات ذميمة قادتهم إلى أن يلعنهم الله تعالى ويطردهم من رحمته، حتى يحذرهم المسلمون، ويجتنبوا

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٩٣/٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر من الإيمان، ح (٨٦)، ٥٠/١.

سلوكهم السيء وخلقهم القبيح^(١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- **جواز لعن الكافرين:** دلت الآيات على جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء، وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم، فموسى عليه السلام سأل الله أن يفرق بينه وبين بني إسرائيل ولعنهم داود وعيسى عليهما السلام فمسخوا قردة وخنازير.

- **وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** دلت الآيات على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الشرعية المهمة لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه، وعلى غيره من المسلمين فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو حصن الإسلام الحصين والدرع الواقي من الشرور والفتن، والسياج من المعاصي والمحن يحمي أهل الإسلام من نزوات الشياطين، ودعوات المبطلين، فهو الوثاق المتين الذي تتماسك به عرى الدين وتحفظ به حرمان المسلمين، بارتفاع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعلو الحق والإيمان، ويندحر أهل الباطل والفجور والعصيان، يورث القوة والعزة في المؤمنين ويذل أهل المعاصي والأهواء والمخالفين، وبالأمر بالمعروف يعرف الحلال من الحرام، ويدرك الناس الواجب والمباح والمكروه، والجهل بمثل هذه الأمور يؤدي إلى نشر المعاصي والمحرمات، وينشأ جيل لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً - إلا من رحم ربي - ولا يكون ضياع الأمة إلا حين يترك للأفراد العيش كما يشتهون ويفعلون ما يريدون، ويتجاوزون حدود الله ﷻ ويعبثون بالأخلاق ويقعون في الأعراض، وينتهكون الحرمات من غير وازع أو ضابط، ومن غير رادع لهم، وإن إفشاء المنكرات يؤدي إلى سلب نور القلب، وبعدم الدفاع عن حرمان الله ﷻ تسود الفوضى، وتستفحل الجريمة، ويسلب القلب نور التمييز وقوة الإنكار؛ لأن المنكرات إذا كثرت على القلب ورودها، وتكرر في العين شهودها ذهبت من القلوب وحشتها، فاعتادتها النفوس، ونجد المجتمعات التي تطبق الفضيلة كالمجتمعات الإسلامية مجتمعات ثابتة مستقرة خالية من الجرائم والأمراض مقارنة بالمجتمعات الفاجرة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) انظر: لطائف الإشارات، ٤٤٢/١، تفسير الراغب، ٤١٩/٥، التسهيل لعلوم التنزيل، ٢٤٠/١، أضواء البيان، ٤١٩/١، التفسير المظهر، ١٥٠/٣، التيسير في أحاديث التفسير، ٧٨/٢.

فالأية تدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (١).

- **وجوب النهي عن المنكر حتى من العصاة:** قال حذاق أهل العلم: وليس من شروط الناهي أن يكون سليماً من معصيته، بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً، وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً، واستدلوا بهذه الآية قالوا لأن قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل، وذمهم على ترك التناهي (٢)، لقوله ﷺ: (مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه، وانهاوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله) (٣)، فالقرآن أنكر موقف التواطؤ على المنكر من بني إسرائيل فمن باب أولى إنكاره من المسلمين.

- **التحذير والتخويف لمن سكت عن النهي عن المنكر:** الواجب اجتناب المعصية والإنكار على من فعل المعصية، أما السكوت على إنكار المنكر فيستحق اللعنة والعقاب، ويوشك أن يعمهم الله بالعقاب، والتهاون بالمعاصي وقلة الاكترات بها يزيد الشر ويعظم المعصية (٤)، لقوله سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر (٥).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه) (٦).

- **بيان أسباب العقوبة من الله ﷻ:** بينت الآيات أسباب العقوبات التي حلت ببني إسرائيل وهي عصيانهم وتجاوزهم حدود الله والمخلوقين وأنهم كانوا يفعلون المنكر ولا ينهى بعضهم بعضاً فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

(١) سبق تخريجه، ص ١٤٨ من هذا البحث.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٥٤، البحر المحيط، ٤/٣٣٨.

(٣) المعجم الأوسط، للطبراني، باب من اسمه محمد ح (٦٦٢٨)، ٦/٣٦٥، المعجم الصغير، للطبراني، ح (٩٨١)،

٢/١٧٥. لم يروهما عن الحسن إلا عبد القدوس تفرد بهما ولده عنه.

(٤) انظر: موسوعة فقه القلوب، فقه الثواب والعقاب، ٤/٢٩٨٧.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، ص ٤٥٧.

(٦) سنن ابن ماجه، ح (٤٠٠٥)، ٢/١٣٢٧، حكم الألباني: صحيح.

- **التهاون بالمعاصي وقلة الاكتراث بها:** وذلك يجرى العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها فيزداد الشر وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر حتى لا يقدرّون على ما كانوا يقدرّون عليه أولاً.

إن في ترك الإنكار للمنكر يندرس العلم ويكثر الجهل فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالاً، ولما كان السكوت عن الإنكار بهذه الخطورة لعن الله تعالى الذين كفروا من بني إسرائيل بسبب عدوانهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١).

- **تقرير كفر من يوالي أعداء الله:** الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه يوجب على العبد موالاته ربه وموالاته أوليائه ومعاداة من كفر به وعاداه، فشرط ولاية الله والإيمان به أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، فموالاته أهل الكفر بالموودة والنصرة دون المؤمنين كفر لقوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَن تَجْعَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤] ، وقوله: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب استجابة الدعاء:** روي عن النبي ﷺ: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) (٢)، وعنه ﷺ: (يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتسالوني فلا أعطيكم وتستغفروني فلا أغفر لكم) (٣). فيتبين أن شرط استجابة الدعاء هو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٤٠/١.

(٢) صحيح وضعيف الترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال: (أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)، ح (٢١٦٩)، ١٦٩/٥، قال: هذا حديث حسن، تحقيق الألباني: حسن.

(٣) سنن ابن ماجه، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٤٠٠٤)، ١٣٢٧/٢، حكم الألباني: حسن، مسند أحمد، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ح (٢٥٢٥٥)، ١٤٩/٤٢.

- النهي عن مجالسة المجرمين وهجرانهم: في الآية: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠] دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم لأنه سبب لسخط الله عليهم واستحقاقهم العذاب.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسّر وأعان على إتمام هذا البحث بفضلِه وبعد بيان مقاصد وأهداف الحزب الثاني عشر من سورة المائدة من الآية (٢٧-٨١) ودراستها دراسة تحليلية يمكن بيان أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

- ١- إن علم مقاصد السور يعين على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً، ويعين على استخراج دقائق معانيها وتدبرها ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله تعالى.
- ٢- أن معرفة المقصد يُظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته.
- ٣- أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من القضايا العقدية والأحكام والأخلاق والوعظ والقصص وغيرها من مقاصد القرآن، التي جعلها الله ﷻ هداية للبشر، والقرآن يثبت هذه المعاني من خلال المقاصد والأهداف والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور، وعلى وجه الخصوص سورة المائدة حيث ذكر فيها آخر ما جاء في الحلال والحرام.
- ٤- أظهرت السورة الحقد الذي يكنه أهل الكتاب للمؤمنين وعداءهم لهم، وأنهم سبب رئيس للنكبات والمصائب التي تصيب المؤمنين.
- ٥- أظهرت السورة الحقد الذي يكنه أهل الكتاب للمؤمنين وعداءهم لهم، وأنهم سبب رئيس للنكبات والمصائب التي تصيب المؤمنين.
- ٦- أوجب الله على عباده تطبيق الشرع وإقامة الحدود حفاظاً على الممتلكات والحقوق وصيانة للنفوس والأعراض.
- ٧- إن عزة الأمة وكرامتها وجمع شملها بتطبيق أحكام الله، وأن أصل الدين واحد مع اختلاف شرائع الأنبياء ومناهجهم.
- ٨- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الغلو في الدين والتشديد فيه.
- ٩- قصة ابني آدم ترمز إلى الصراع بين قوتي الخير والشر ممثلة في قصة قابيل وهابيل، وأنها أول جريمة نكراء تحدث في الأرض، وتعرض نموذجين من نماذج البشرية وهما نموذج النفس الشريرة الآثمة ونموذج النفس الخيرة الكريمة.
- ١٠- الترغيب في العفو والحض عليه والمساعدة إلى الخيرات والمبادرة إليها.

ثانياً: أهم التوصيات:

في ضوء الدراسة التي قمت بها والنتائج التي توصلت إليها فإنني أوصي بما يأتي:

- ١- أوصي نفسي وأخواتي بتقوى الله ﷻ والعمل على مرضاته، واتباع هدي النبي ﷺ والعمل بمقاصد وأهداف آيات كتابه الكريم فإن في ذلك الفلاح والنجاح.
- ٢- القرآن الكريم معين لا ينضب على مر العصور والأزمنة، ولذلك أوصي الباحثين ببذل الجهد من أجل الكشف عن كنوزه وأسراره من خلال البحث في أهدافه ومقاصده.
- ٣- أوصي طلاب العلم الشرعي وخاصة في قسم التفسير وعلوم القرآن بدراسة مقاصد وأهداف القرآن الكريم لتستفيد منها الأمة وطلاب العلم من خلال السلسلة الكريمة المعتمدة في قسم التفسير وعلوم القرآن.

وختاماً أسأل الله أن أكون قد ساهمت في خدمة كتابه العزيز وسهلت الاستفادة منه للقارئ والدارس، كما أسأله ﷻ أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يلهمنا السداد والصواب، هذا وما كان من توفيق وصواب في هذه الرسالة فمن الله وما كان من خطأ أو نسيان، وأسأل الله المغفرة والرحمة.

وأخيراً أرجو من المولى ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم فإنه خير مأمول وأكرم مسئول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

| سورة البقرة | | | |
|---------------|---|-----------|------------|
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١- | ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ | ٣٣ | ١١٠ |
| ٢- | ﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ | ٨٧ | ٩٩ |
| ٣- | ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ | ١٠٠ | ١١٩ |
| ٤- | ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ | ١٨٣ | ٢١ |
| ٥- | ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ... ﴾ | ١٨٦ | ٣٤ |
| سورة آل عمران | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ٦- | ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ | ٢١ | ٨٩ |
| ٧- | ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ | ٢٨ | ١٥١ |
| ٨- | ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ﴾ | ٨٥ | ١١٣ |
| ٩- | ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ | ١١٠ | ١٤٩ |
| ١٠- | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ | ١١٨-١٢٠ | ٨٥ |
| ١١- | ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ | ١٤٤ | ١٣٥ |
| ١٢- | ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ | ١٩٩ | ١٠٧ |
| سورة النساء | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٣- | ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ | ٤٨ | ١٢٧ |

| | | | |
|--------------|-----------|--|------|
| ٣٧ | ٦٥ | ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ | - ١٤ |
| ٢٠ | ٩٢ | ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ | - ١٥ |
| ٢٠ | ٩٣ | ﴿ وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ | - ١٦ |
| ٣٥ | ١٠٧ | ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾ | - ١٧ |
| ١٣١ | ١١٠ | ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ | - ١٨ |
| ١٥١ | ١٤٤ | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ | - ١٩ |
| سورة المائدة | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ٣ | ١ | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ | - ٢٠ |
| ٤، ٣ | ٣ | ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ | - ٢١ |
| ٧ | ٣ | ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ | - ٢٢ |
| ٢ | ١٥ | ﴿ ... وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ | - ٢٣ |
| ١١٦ | ٢٣ | ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا ﴾ | - ٢٤ |
| ٢ | ٢٣ | ﴿ ... فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ | - ٢٥ |
| ٩ | ٢٤ | ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ | - ٢٦ |
| ١٨، ١٧ | ٢٧ | ﴿ قَالَ لَا قِتْلَتِكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ | - ٢٧ |
| ١٦ | ٢٧ | ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ | - ٢٨ |
| ٩ | ٢٧-٣٠ | ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ | - ٢٩ |
| ١٤ | ٢٧-٣١ | ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ ﴾ | - ٣٠ |
| ١٦ | ٢٩ | ﴿ تَبَوَّءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ | - ٣١ |

| | | | |
|--------|-------|---|-----|
| ١٨ | ٣١-٣٠ | ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .. ﴾ | -٣٢ |
| ٢٠ | ٣١ | ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا .. ﴾ | -٣٣ |
| ٢١، ١٠ | ٣٢ | ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ... ﴾ | -٣٤ |
| ٢٢ | ٣٢ | ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ | -٣٥ |
| ٢١ | ٣٢ | ﴿ .. بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ ﴾ | -٣٦ |
| ٤ | ٣٣ | ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾ | -٣٧ |
| ٢٦، ١١ | ٣٣ | ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي .. ﴾ | -٣٨ |
| ٢٦ | ٣٤-٣٣ | ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي .. ﴾ | -٣٩ |
| ٢٧ | ٣٤ | ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا .. ﴾ | -٤٠ |
| ٣١ | ٣٧-٣٥ | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ .. ﴾ | -٤١ |
| ٣٤ | ٤٠-٣٨ | ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا .. ﴾ | -٤٢ |
| ٣٥ | ٣٩ | ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ .. ﴾ | -٤٣ |
| ٤١ | ٤٣-٤١ | ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ .. ﴾ | -٤٤ |
| ٤٦ | ٤٤ | ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ .. ﴾ | -٤٥ |
| ٤٨ | ٤٤ | ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ | -٤٦ |
| ٤٩ | ٤٥ | ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ .. ﴾ | -٤٧ |
| ٤٩، ٤٦ | ٤٥ | ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ | -٤٨ |
| ٥٤ | ٤٦ | ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا .. ﴾ | -٤٩ |
| ٥٥ | ٤٧ | ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ | -٥٠ |
| ٥٧ | ٤٨ | ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ | -٥١ |

| | | | |
|-------|-------|--|-----|
| ٦٠ | ٤٩ | ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾..... | -٥٢ |
| ٦١،٦٠ | ٤٩ | ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾..... | -٥٣ |
| ٦٠ | ٥٠-٤٩ | ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾..... | -٥٤ |
| ٦١ | ٥٠ | ﴿أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ﴾..... | -٥٥ |
| ١٥١ | ٥١ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾..... | -٥٦ |
| ٦٧ | ٥٣-٥١ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾..... | -٥٧ |
| ١٠ | ٥٤ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ﴾..... | -٥٨ |
| ٧٨ | ٥٦-٥٥ | ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾..... | -٥٩ |
| ٨٢ | ٥٨-٥٧ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾..... | -٦٠ |
| ٨٢ | ٥٨ | ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾..... | -٦١ |
| ٨٧ | ٦٠-٥٩ | ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تُنْفِقُونَ مِمَّا آتَاكُمْ بِاللَّهِ﴾..... | -٦٢ |
| ٩١ | ٦١ | ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ﴾..... | -٦٣ |
| ٩٠ | ٦٣-٦١ | ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ﴾..... | -٦٤ |
| ٩٢ | ٦٢ | ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ﴾..... | -٦٥ |
| ٩٢ | ٦٢ | ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ | -٦٦ |
| ٩٢ | ٦٣ | ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ﴾..... | -٦٧ |
| ٩٢ | ٦٣ | ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ | -٦٨ |
| ١٠٠ | ٦٤ | ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾..... | -٦٩ |
| ٩٥ | ٦٦-٦٤ | ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا﴾..... | -٧٠ |
| ١٠١ | ٦٥ | ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾..... | -٧١ |

| | | | |
|-----|-------|--|-----|
| ٦٤ | ٦٦ | ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾ | -٧٢ |
| ١٠٤ | ٦٧ | ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ... ﴾ | -٧٣ |
| ١١٠ | ٦٨ | ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا ﴾ | -٧٤ |
| ١١٤ | ٦٩ | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ﴾ | -٧٥ |
| ١١٦ | ٧٠-٧١ | ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ﴾ | -٧٦ |
| ١٢٢ | ٧٢ | ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ | -٧٧ |
| ١٣٥ | ٧٢ | ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ | -٧٨ |
| ١٣٥ | ٧٣ | ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ | -٧٩ |
| ١٢٧ | ٧٣-٧٤ | ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ ﴾ | -٨٠ |
| ١٣٢ | ٧٥ | ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. ﴾ | -٨١ |
| ١٣٨ | ٧٦ | ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ﴾ | -٨٢ |
| ١٤١ | ٧٧ | ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ | -٨٣ |
| ١٥٠ | ٧٨-٧٩ | ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ ﴾ | -٨٤ |
| ١٤٤ | ٧٨-٨١ | ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ ﴾ | -٨٥ |
| ١٥٢ | ٨٠ | ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ ... ﴾ | -٨٦ |
| ٨٧ | ٨٢ | ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ﴾ | -٨٧ |
| ١١ | ٩٠ | ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ ﴾ | -٨٨ |
| ٩ | ٩٩ | ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ | -٨٩ |
| ٣،٢ | ١١٢ | ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ .. ﴾ | -٩٠ |
| ١٠٧ | ١١٦ | ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ | -٩١ |

| | | | |
|--------------|-----------|---|-----|
| ١٢٥ | ١١٧-١١٦ | ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ.....﴾ | -٩٢ |
| سورة الأعراف | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ١٣٦ | ١٤٦ | ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ | -٩٣ |
| سورة هود | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ١٠٧ | ٤٨ | ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ | -٩٤ |
| سورة يوسف | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ١٣٥ | ١٠٩ | ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ.....﴾ | -٩٥ |
| سورة إبراهيم | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ٩٩ | ٧ | ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.....﴾ | -٩٦ |
| سورة الحجر | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ٦٠ | ٩ | ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ | -٩٧ |
| سورة النحل | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ١٠٧ | ٤٤ | ﴿لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.....﴾ | -٩٨ |

| سورة الإسراء | | | |
|---------------|---|-----------|------------|
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ٩٩- | ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ | ٢٩ | ٩٩ |
| سورة مريم | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٠- | ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.....﴾ | ٤١ | ١٣٥ |
| سورة طه | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠١- | ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ.....﴾ | ٤٠ | ٢٠ |
| سورة الأنبياء | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٢- | ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ | ١٠ | ١٠٠ |
| سورة النور | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٣- | ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.....﴾ | ٤٠ | ٧٢ |
| سورة الفرقان | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٤- | ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ.....﴾ | ٦٨-٧٠ | ١٣١ |
| سورة القصص | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٥- | ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ | ٣٠ | ١٠٧ |

| سورة سبأ | | | |
|--------------|--|-----------|------------|
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٦- | ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ | ٣٩ | ٩٩ |
| سورة الصفات | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٧- | ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ﴾ | ١٧١-١٧٣ | ٧١ |
| سورة ص | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٨- | ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ ﴾ | ٢٦ | ١٤١ |
| سورة الزمر | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١٠٩- | ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ | ٣٣ | ١٣٤ |
| ١١٠- | ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ | ٣٨ | ١٤٠ |
| ١١١- | ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ﴾ | ٥٣ | ٢٧ |
| سورة الجاثية | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٢- | ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ | ٢٣ | ١٤١ |
| سورة الفتح | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٣- | ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ | ٢٩ | ٧٦ |

| سورة الحجرات | | | |
|---------------|--|-----------|------------|
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٤- | ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..... ﴾ | ١٠ | ٨٦ |
| سورة النجم | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٥- | ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ | ٣ | ١٤١ |
| سورة الحديد | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٦- | ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ..... ﴾ | ٧ | ٩٩ |
| سورة المجادلة | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٧- | ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ... ﴾ | ٢١-٢٢ | ٧٩ |
| سورة الحشر | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٨- | ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ | ١٤ | ٩٧ |
| سورة الجمعة | | | |
| م | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
| ١١٩- | ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ..... ﴾ | ٥ | ٥٦ |
| ١٢٠- | ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ..... ﴾ | ٩ | ٨٤ |

| سورة الطلاق | | | |
|-------------|-----------|---|------|
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ١٠٠ | ٢ | ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.....﴾ | -١٢١ |
| سورة الجن | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ٩٩ | ١٦ | ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا.....﴾ | -١٢٢ |
| سورة البروج | | | |
| رقم الصفحة | رقم الآية | الآية | م |
| ٨٩ | ٨ | ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ | -١٢٣ |

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

| م | طرف الحديث | الكتاب | الحكم | الصفحة |
|-----|--|----------------------|----------------------|--------|
| ١- | آخر سورة نزلت سورة المائدة | المستدرك | صحيح على شرط الشيخين | ٥ |
| ٢- | إذ أنزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها | مسند الإمام أحمد | حسن لغيره | ٦ |
| ٣- | أرأيت يا رسول الله إن جاء يريد أخذ مالي؟ | صحيح مسلم | صحيح | ٣٠ |
| ٤- | ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصييون من .. | صحيح البخاري | صحيح | ٢٦ |
| ٥- | إن الشيطان قد يئس أن يعبد من دون الله | سنن ابن ماجة | حسن صحيح | ١١٦ |
| ٦- | إن الله بعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً وعرفت | مسند أحمد | صحيح | ١٠٤ |
| ٧- | إن الله لم يهلك قوماً- أو قال لم يمسح قوماً- .. | صحيح مسلم | صحيح | ٩٠ |
| ٨- | إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك | سنن ابن ماجة | صحيح | ١٥٠ |
| ٩- | إن شاء عذبه وإن شاء غفر له | صحيح البخاري | صحيح | ٣٠ |
| ١٠- | إن يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سَخَاءَ الليل | صحيح البخاري | صحيح | ٩٩ |
| ١١- | أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً ... | صحيح مسلم | صحيح | ١٢٧ |
| ١٢- | إنا لا نستعين على أمرنا بالمشركين | السنن الكبرى للبيهقي | صحيح | ٨٦ |
| ١٣- | أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب | مسند الإمام أحمد | حسن لغيره | ٦ |
| ١٤- | إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه | المستدرك | صحيح على شرط الشيخين | ٧ ، ٥ |
| ١٥- | إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم أكثر | صحيح البخاري | صحيح | ١٣١ |

| | | | | |
|-----|----------------------|---------------------|--|-----|
| ١٤٣ | صحيح | مسند أحمد | إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم | -١٦ |
| ٧٧ | حسن | سبل السلام للصنعاني | أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد | -١٧ |
| ٦ | صحيح على شرط الشيخين | أخرجه الحاكم | تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور، فإن فيهن | -١٨ |
| ١٠٠ | صحيح | صحيح البخاري | خيركم من تعلم القرآن وعلمه | -١٩ |
| ١٣١ | صحيح | صحيح البخاري | سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله | -٢٠ |
| ١٠٩ | صحيح | صحيح البخاري | العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر | -٢١ |
| ٧٧ | حسن | سبل السلام للصنعاني | فقد عاقب أبو بكر المرتدين بالقتل فقاتل المرتدين .. | -٢٢ |
| ٣٢ | صحيح | صحيح البخاري | فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة | -٢٣ |
| ١٤٣ | صحيح | صحيح البخاري | لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما | -٢٤ |
| ١٨ | صحيح | صحيح البخاري | لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول | -٢٥ |
| ٧٧ | صحيح | صحيح البخاري | لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس | -٢٦ |
| ٥٢ | صحيح | سنن النسائي | لا يقتل مؤمن بكافر | -٢٧ |
| ١٥١ | حسن | سنن الترمذي | لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو | -٢٨ |
| ١٣٠ | صحيح | صحيح البخاري | الله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دوية | -٢٩ |
| ٢٠ | صحيح | صحيح البخاري | لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب | -٣٠ |
| ١٠٥ | صحيح | صحيح البخاري | الله يمنعي منك، ضع السيف، فوضعه فنزلت .. | -٣١ |
| ٥١ | صحيح | مسند أحمد | ما من رجل يجرح من جسده جراحة فيتصدق .. | -٣٢ |
| ٢٠ | صحيح | تخريج الحديث | ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم ... | -٣٣ |

| | | | | |
|-----|----------|------------------------|---|-----|
| ١٥٠ | صحيح | المعجم الأوسط للطبراني | مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه، وانها عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله | -٣٤ |
| ٧٧ | صحيح | صحيح البخاري | من بدل دينه فاقتلوه | -٣٥ |
| ١٠٤ | صحيح | البخاري ومسلم | من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل فقد.. | -٣٦ |
| ١٤٨ | صحيح | صحيح مسلم | من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع | -٣٧ |
| ٥٩ | صحيح | صحيح البخاري | نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد | -٣٨ |
| ٣٥ | صحيح | صحيح البخاري | هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في | -٣٩ |
| ١٤٣ | صحيح | صحيح مسلم | هالك المتطعون قالها ثلاثة | -٤٠ |
| ٧٦ | صحيح | المستدرک | هم قوم هذا | -٤١ |
| ٧٤ | صحيح | المستدرک على الصحيحين | هم قومك يا أبا موسى، وأوماً رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري | -٤٢ |
| ١٤٥ | صحيح | سنن الترمذي | والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن | -٤٣ |
| ٥ | صحيح | رواه الطبراني | ولد نبيكم يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم | -٤٤ |
| ٤ | صحيح | صحيح البخاري | يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها | -٤٥ |
| ١٥١ | حسن | سنن ابن ماجه | يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: مروا | -٤٦ |
| ١٠٥ | غريب | سنن الترمذي | يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله | -٤٧ |
| ١٠٥ | غريب | سنن الترمذي | يا عم إن الله قد عصمني من الجن والإنس | -٤٨ |
| ١٤٠ | حسن صحيح | سنن الترمذي | يا غلام احفظ الله يحفظك ... واعلم أن الأمة .. | -٤٩ |
| ٢٠ | صحيح | مسند أحمد | يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بالقاتل يقول .. | -٥٠ |
| ٣٣ | صحيح | صحيح البخاري | يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له: يا ابن آدم | -٥١ |

ثالثاً: فهرس الأعلام

| الصفحة | العلم | م |
|--------|--|----|
| ٣ | ابن الفرس: هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي | -١ |
| ١٠٨ | أبو جحيفة السوائي الكوفي: وهب بن عبد الله بن مسلمة | -٢ |
| ٦٧ | أبو لبابة بن عبد المنذر: هو ابن عبد المنذر الأوسي الأنصاري | -٣ |
| ٥ | جبير بن نفيل: جبير بن مالك بن عامر، الإمام الكبير، أبو عبد الرحمن | -٤ |

رابعاً: المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ٢- الأحاديث المختارة: أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لا يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك دهيش، الناشر: دار مضر، بيروت.
- ٣- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي القوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المنار.
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أو السعود العمادي محمد بن محمد مصطفى، (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٤م.
- ٦- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي البجاوي، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٨- أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- ١١- إعراب القرآن العظيم: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، (المتوفى: ٩٢٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى علي موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١٢- إعراب القرآن وبيانه: محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سوريا (دار اليمامة - دمشق - بيروت) دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٣- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، أيار ٢٠٠٢م.
- ١٤- أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد.
- ١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٦- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د. عبد الله شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
- ١٧- إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ) المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٨- أيسر التفاسير بكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٩- أيسر التفاسير: أسعد حومد، المكتبة الشاملة الإصدار الأول.
- ٢٠- الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٢١- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٣٧هـ).
- ٢٢- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أمير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- ٢٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٥- بيان المعاني: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ-١٩٦٥م.
- ٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: د. حسن نصار مراجعة: د. جميل سعيد، عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية، ١٣٩٦هـ-١٩٦٩م.
- ٢٧- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
- ٢٨- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٩- التحرير والتتوير- تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ٣٠- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٣١- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبى الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٣٢- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، د. أبو لبابة حسين، الناشر: دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- ٣٣- تفسير ابن أبي حاتم (القرآن العظيم): أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ٣٤- تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٣٥- تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٣٦- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول): دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة، ١٣٨٣هـ.
- ٣٧- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٨- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.
- ٣٩- تفسير القرآن (وهو اختصار التفسير للماوردي): تأليف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٤٠- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الألبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٤١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- ٤٢- تفسير القرآن الكريم: عبد الله شحاتة، دار الغريب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- ٤٣- تفسير القرآن الكريم: محمد شلتوت.

- ٤٤- تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٥- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤٦- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٤٧- التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢هـ.
- ٤٨- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم): محمد رشيد علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- ٤٩- التفسير المنهجي: د. جمال أبو حسان، المجلد الثالث من سورة المائدة - نهاية سورة الأعراف، إشراف: الأستاذ عمر خليل يوسف، المراجعة العلمية: د. عمر سليمان الأشقر، دار المنهل، عمان، الأردن.
- ٥٠- تفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية - ١٤١٨هـ.
- ٥١- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن، المجلد الثاني بإشراف: الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٥٢- التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٥٣- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات بعد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم: محي الدين مستو دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥٤- التفسير الواضح: محمد محمود حجازي، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٥٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧-١٩٩٨م.

- ٥٦- التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٥٧- تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جها الكواري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٥٨- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٥٩- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٦٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٠هـ.
- ٦١- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى الهروي أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٦٢- تيسير التفسير: إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، الكتاب رقم آلياً.
- ٦٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٦٤- جامع البيان من تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري قدم له خليل الميسر، توثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ٦٥- الجامع الصحيح: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٦٦- الجامع المسند الصحيح، المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٦٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٠٤هـ - ١٩٦٤م.

- ٦٨- الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمد بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الايمان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
- ٦٩- الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن بالهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ.
- ٧٠- الجزء المتمم من الطبقات الكبرى ٣١٨/١: تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.
- ٧١- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٧٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٧٣- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة أبو زرعة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلقه مواشيه: سعي الأفغاني، الناشر: دار الرسالة، الطبعة الأولى.
- ٧٤- الحجة في القرارات السبع: الحسين بن أحمد خالويه أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم الأستاذ المساعد بكلية الآداب، جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
- ٧٥- خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة: د. إبراهيم الكيلاني، من منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٧٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- ٧٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- ٧٨- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٧٩- رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو بكر ابن منجويه (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

- ٨٠- الرسل والرسالات: عمر بن سلميان بن عبد الله الأشقر العنبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٨١- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت.
- ٨٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسن الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٨٣- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علم بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٨٤- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٨٥- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر، دار الفكر العربي.
- ٨٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف.
- ٨٧- سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار لصياد الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ٨٨- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محي الدين عد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ٨٩- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد، دار الجيل، بيروت، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ٩٠- السنن الكبرى، للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ٩١- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة ط ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٩٢- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى الشلبي، الناشر: شركة مكتبة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.
- ٩٣- شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري (المتوفى: ٨٥٧هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٩٤- شرح طيبة النشر في القراءات: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد ابن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٩٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء، عمان، ط ١٤٠٧م.
- ٩٦- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د. حسين عبد الله العمري، مطهر بن علي الإيراني، د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٩٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٩٨- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ٩٩- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١٠٠- علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠١- علم مقاصد السور: محمد عبد الله ربيعة، جامعة القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- ١٠٢- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- ١٠٣- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميران، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٠٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، محمد فؤاد عبد الباقي.
- ١٠٥- فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٧٠هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٠٦- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار الخير، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٤م.
- ١٠٧- فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات: محمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: دار البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م
- ١٠٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرظي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ١٠٩- في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط١..
- ١١٠- في ظلال القرآن: سيد قطب (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة والثلاثين، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ١١١- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، تصوير ١٩٩٣م.
- ١١٢- قيس من نور القرآن الكريم: محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١١٣- القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ١١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثلاثين، ١٤٠٧هـ.

- ١١٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو أسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الامام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ١١٦- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أوبوب بن موسى الحسون الكفوي، أعده للطباعة ومصنع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد الحصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣-١٩٩٣م.
- ١١٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١١٨- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١١٩- لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم (المتوفى: ٧١١هـ)، راجعه: نخبة من الأساتذة المختصين، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ١٢٠- لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ، المحقق: دائرة المعارف النظامية، الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- ١٢١- لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.
- ١٢٢- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى القيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة ١٣٨١هـ.
- ١٢٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعز الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٢٤- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد ظاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ١٢٥- مجمل اللغة: أحمد فارس بن زكريا القزويني الرازي أبي الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- ١٢٦- مجموع الفتاوي: ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف بالمدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، المملكة العربية السعودية.
- ١٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي حمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٢٨- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: خالد ابن سلمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٢٩- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ١٣٠- مختصر الفتاوى المصرية: لابن تيمية، محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله بن الدين البعلبي.
- ١٣١- مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ١٣٢- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ١٣٣- مراح لببدا لكشف معنى القرآن المجيد: المؤلف: محمد بن عمر نوري الحاوي البنتي إقليمياً التتاري بلداً (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٣٤- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمودية بن نعيم بن الحكم العيني الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ١٣٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- ١٣٦- مشارق الأنوار على صحيح الآثار: القاضي عياض بن موسى المالكي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار التراث.
- ١٣٧- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله ولي الدين التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- ١٣٨- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويسمى المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى: إبراهيم بن عمر بن حسن الزباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- ١٣٩- المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، الناشر: دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ١٤٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٤١- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٤٢- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مضير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ١٤٣- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٤٤- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
- ١٤٥- معجم ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- ١٤٦- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩-١٩٧٩م.
- ١٤٧- معرفة الصحابة: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له: الأستاذ الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ١٤٨- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد ابن أبي شجاع أحمد الكرمانى أبو العلاء الحنفي (المتوفى: ٥٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١م.
- ١٤٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- ١٥٠- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هامشه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ١٥١- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علاء الفاسي دار الغرب الاسلامي الطبعة الخامسة، ١٩٩٣هـ.
- ١٥٢- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- ١٥٣- المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ١٥٤- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.
- ١٥٥- موسوعة الأعلام (تراجم موجزة للأعلام): تأليف: موقع وزارة الأوقاف المصرية، المكتبة الشاملة.
- ١٥٦- الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، ط ١٤٠٥هـ.
- ١٥٧- موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

- ١٥٨- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الصباغ (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، التصوير: دار الكتاب العلمية.
- ١٥٩- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير، بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار القلم، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ١٦٠- نواقض الإيمان القولية والعملية: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، ط ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.
- ١٦١- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧-١٩٩٧م.
- ١٦٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علم الواحدي النيسابوري الشافعي.
- ١٦٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صبرة، وغيرهم، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ١٦٤- وفيات الأعيان وأنباء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧١م.
- ١٦٥- مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- ١٦٦- الولاء والبراء في الإسلام: أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري الناشر: دار الدعوة الاسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

خامساً: فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| أ | الإهداء |
| ب | شكر وتقدير |
| ج | المقدمة |
| د | أولاً: أهمية الموضوع |
| د | ثانياً: أسباب اختيار الموضوع |
| د | ثالثاً: أهداف البحث |
| هـ | رابعاً: منهج الباحثة |
| هـ | خامساً: الدراسات السابقة |
| و | سادساً: خطة البحث |
| ١ | التمهيد |
| ٢ | المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسمائها |
| ٣ | المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة |
| ٦ | المطلب الثالث: فضل السورة وجو نزولها |
| ٨ | المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة |
| ٨ | المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة |
| ١٢ | الفصل الأول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثاني عشر الآية (٢٧-٤٢) |
| ١٣ | المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة المائدة من الآيات (٢٧-٣٢) جرائم وعقوبات |

| | |
|----|---|
| ١٤ | المطلب الأول: قصة ابني آدم |
| ٢١ | المطلب الثاني: جزاء الحسد والبغي والإفساد في الأرض |
| ٢٥ | المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٣٣-٤٠) من سورة المائدة (حدود وتشريعات) |
| ٢٦ | المطلب الأول: حد الحرابة |
| ٣١ | المطلب الثاني: أساس النجاة في الآخرة |
| ٣٤ | المطلب الثالث: حد السرقة |
| ٣٩ | الفصل الثاني الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثاني عشر الآيات (٤٢-٥٠) |
| ٤٠ | المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٤١-٤٥) من سورة المائدة |
| ٤١ | المطلب الأول: طبائع وقبائح اليهود كما صورها القرآن |
| ٤٦ | المطلب الثاني: التوراة هدى ونور |
| ٤٩ | المطلب الثالث: بعض أحكام التوراة وموقف اليهود منها |
| ٥٣ | المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٤٦-٥٠) من سورة المائدة |
| ٥٤ | المطلب الأول: رسالة عيسى عليه السلام |
| ٥٧ | المطلب الثاني: القرآن أفضل الكتب السماوية والمهيمن عليها |
| ٦٠ | المطلب الثالث: السعادة تكمن في العمل بما أنزل الله ﷻ |
| ٦٥ | الفصل الثالث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثاني عشر الآيات (٥١-٦٦) |
| ٦٦ | المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٦) من سورة المائدة |
| ٦٧ | المطلب الأول: التحذير من موالاته اليهود والنصارى |

| | |
|-----|--|
| ٧٢ | المطلب الثاني: عقوبة الردة وحكم موالاة الكافرين |
| ٧٨ | المطلب الثالث: صفات الذين يحبهم الله ﷺ ويحبونه |
| ٨١ | المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٧-٦٦) من سورة المائدة |
| ٨٢ | المطلب الأول: الدين بين المستهزئين والكارهين له |
| ٨٧ | المطلب الثاني: سفاهة أهل الكتاب |
| ٩٠ | المطلب الثالث: صفات اليهود وجرائمهم |
| ٩٥ | المطلب الرابع: اتهام اليهود للمولى ﷺ بالبخل وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم وثمره الاستقامة على دين الله |
| ١٠٢ | الفصل الرابع الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثاني عشر الآيات (٦٧-٨١) |
| ١٠٣ | المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٦٧-٧١) من سورة المائدة |
| ١٠٤ | المطلب الأول: عصمة الرسول ﷺ |
| ١١٠ | المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب للإيمان برسالة محمد ﷺ |
| ١١٤ | المطلب الثالث: ثمره الاستقامة على دين الله ﷻ |
| ١١٦ | المطلب الرابع: طبيعة بني إسرائيل وضلالتهم |
| ١٢١ | المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٧٢-٧٥) من سورة المائدة |
| ١٢٢ | المطلب الأول: إبطال مزاعم النصارى في تأليه عيسى ﷺ |
| ١٢٧ | المطلب الثاني: عقيدة التثليث عند النصارى وإبطالها |
| ١٣٢ | المطلب الثالث: بشرية عيسى ﷺ |
| ١٣٧ | المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٦-٨١) من سورة المائدة |

| | |
|-----|---|
| ١٣٨ | المطلب الأول: الألوهية الحقّة |
| ١٤١ | المطلب الثاني: التحذير من الغلو في الدين |
| ١٤٤ | المطلب الثالث: لعن كفار بني إسرائيل لعصيانهم وعدوانهم |
| ١٥٣ | الخاتمة |
| ١٥٣ | أولاً: النتائج |
| ١٥٤ | ثانياً: التوصيات |
| ١٥٥ | الفهارس |
| ١٥٦ | أولاً: فهرس الآيات القرآنية |
| ١٦٦ | ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية |
| ١٦٩ | ثالثاً: فهرس الأعلام |
| ١٧٠ | رابعاً: فهرس المصادر والمراجع |
| ١٨٥ | خامساً: فهرس الموضوعات |
| ١٨٩ | ملخص الرسالة باللغة العربية |
| ١٨٩ | ملخص الرسالة باللغة الانجليزية |

ملخص الرسالة

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذه الرسالة على بركة الله تعالى، والتي كانت بعنوان:
(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني عشر من القرآن الكريم من سورة المائدة من آية ٢٧ إلى الآية ٨١).

وكان السبب في اختيار سورة المائدة؛ لاحتوائها على قضايا كبيرة ومهمة واحتوائها على قضايا عقدية وأحكام تشريعية.

وقد تحدثت الباحثة عن التعريف العام لسورة المائدة، والمناسبة بين آيات السورة من حيث عدد آياتها، والمناسبة بين آيات السورة، وأيضاً أوضحت مقاصد وأهداف السورة الكريمة إجمالاً، وأما الدراسة التحليلية فقد ذكرت الأهداف والمقاصد بالتفصيل من الآية (٢٧-٨١)

وأخيراً توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات لطلبة العلم والدارسين بوجه عام.

ABSTRACT

All praise to Allah Almighty after I have finished writing of this message which was entitled: **(analytical study of the purposes and objectives of the second party of ten Qur'an Al-Maeda Surah from verse 27 to verse 81).**

The reason for choosing Surah; because it deals with a large and important issues, in faith and legislative issues.

The researcher talked about the general definition of the Holy Koran, and appropriate between the verses of Sura in terms of number of verses, and co-herance between the verses of Sura, as well as the purposes and objectives of Al-Maeda sura explained Altogether, The analytical study has stated goals and objectives in detail of the verse (27-81)

Finally the researcher reached to a set of findings and recommendations.